الباب الثالث

قصّة الصّلب

- روايات الأناجيل عن أحداث الصلب
- نهاية يهـوذا
- المسيح ومحاولات قتله
- تنبؤات المسيح بنجاته من القتل
- تنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل
- اختلاف المسيحيين الأوائل فى صـلب المسيح

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الخامس

روايات الأناجيل عن أحداث الصلب

مقدمه :

فى دراستنا للجوانب المختلفة لهذه القضية ، فلابد لنا من أن نأخذ فى الاعتبار بعض الحقائق الأولية التى تتعلق بالأناجيل — وقد سبق الحديث عنها — وهى :

١ — أن انجيل مرقس يعتبر أقدم الأناجيل ، وقد كتب بعد رفع المسيح بنحو ٣٥ عاما ، وأن كاتبه لم يكن قط من تلاميذ المسيح ، ولم يره ولو مرة واحدة فى حياته ، وما كان مرقس — كما قيل — إلا تابعا لبطرس.

٢ — وأن كلا من انجيلى متى ولوقا ، يعتبر نسخه منقولة من انجيل مرقس ، مطولة فى أحيان كثيرة ، ومضافا إليها من مصادر أخرى مجهولة. وقد كتب هذان الانجيلان بعد رفع المسيح بنحو ٦٠ ، ٥٠ عاما على الترتيب.

كذلك فإن لوقا ما كان هو الآخر من تلاميذ المسيح ولم يره ولو مرة واحدة فى حياته وهو يعترف بذلك فى مقدمة انجيله التى يقرر فيها أنه كان من الجيل الثانى فى المسيحية ، وأنه كتب ما كتب — الانجيل وسفر أعمال الرسل — بوازع من نفسه ، وبناء على اجتهاداته الشخصية البحتة .

٣ — وأن انجيل يوحنا قد كتب لغرض سبق وضعه الكاتب نصب عينية وهو التأكيد على نظرية تقول بلاهوت المسيح وقد كتب بعد رفع المسيح بمدة تتراوح بين ٧٠ و ٩٠ عاما .

٤ — وفى جميع الأحوال فإن هذه الأناجيل — وبقية أسفار الجديد — قد كتبت وفى ذاكرة كاتبيها — إن لم يكن أمامهم بالفعل — نسخا من أسفار العهد القديم .

obeikandl.com

إن هذا يعنى أن الكاتب يستطيع التوفيق بين ما فى ذاكرته من أفكار ومعتقدات حول المسيح ورسالته ، وبين ما ارتآه صورة لها أو قريبة منها فى أسفار العهد القديم . لقد نقل كتبة أسفار العهد الجديد عن أسفار العهد القديم نصوصا ، واقتبسوا منه فقرات وأفكارا إستخدموها فى صياغة كتبهم بالأسلوب الذى ظنوه يساعد القراء على الايمان بأن كل ما ذكروه عن المسيح إنما كان تحقيقا لنبؤات السابقين .

ولقد رأينا — منذ قليل — بعض ماكان من من خطأ الاستشهاد بأسفار العهد القديم ، ولسوف نرى فيما يلى المزيد والمزيد .

★

هذا — ولما كانت الأناجيل تذكر روايات — تبدو — متشابهة عن أحداث الصلب ، كان من المناسب أن نقسم هذا الموضوع إلى عدد من العناصر ، ثم نبحث كل عنصر حسبما يذكره أحد الأناجيل — وليكن فى الغالب انجيل مرقس باعتباره أقدم الأناجيل — ثم نسير إلى ماجاء بشأنه فى الأناجيل الأخرى .

وتنقسم روايات الأناجيل عن أحداث الصلب الى ستة عناصر تجرى مناقشتها تباعاً ، وهى :

مقدمة الأحداث — العشاء الأخير — الليلة الأخيرة — المحاكمة — الصلب — ثم الدفن .

★★

١ — مقدمة الاحداث

مسح جسد المسيح بالطيب

يقول انجيل مرقس : « كان الفصح وأيام الفطير بعد يومين ، وكان رؤساء الكهنة يطلبون كيف يمسكونه بمكر ويقتلونه .

ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب .

وفيما هو فى بيت عنيا فى بيت سمعان الابرص وهو متكىء جاءت امرأة معها قارورة طيب ناردين خالص كثير الثمن فكسرت القارورة وسكبته على رأسه .

وكان قوم مغتاظين فى أنفسهم فقالوا لماذا كان تلف الطيب هذا . لأنه كان أن يباع هذا بأكثر من ثلاثمائة دينار ويعطى للفقراء وكانوا يؤنبونها .

أما يسوع فقال اتركوها . لماذا تزعجونها . قد عملت بى عملا حسنا لأن الفقراء معكم فى كل حين ومتى أردتم تقدرون أن تعملوا بهم خيرا وأما أنا فلست معكم فى كل حين عملت ماعندها . قد سبقت ودهنت بالطيب جسدى للتكفين — ١٤ : ١ — ٨ »

ويقول نيتهام فى تفسيره لهذه الفقرات : « **إن الفقرات (الأولى) غير مفهومة على الاطلاق ومن المحتمل أن ماقصده القديس مرقس ببساطة هو القول بان السلطات اليهودية — وقد تحققت من أن أى محاولة للقبض على يسوع علنا قد تثير شغبا بين الجماهير المجتمعة فى العيد — فانها قررت تجنب الاضطراب ، وذلك بالقبض عليه سراً . ولكنه اذا كان هذا هو المعنى المقصود ، فان مرقس قد عبر عن ذلك بطريقة خاطئة جداً . .**

إن المعنى الواضح هو أن السلطات اليهودية قررت عدم اتخاذ أى اجراء أثناء العيد حتى ولو كان سيتم خلسة. ولكن واقع الأمر كما سيظهر فيما بعد، هو أن تلك السلطات قد عملت — ضد يسوع — أثناء العيد ، ولهذا فان المفسرين يتسائلون عما جعل تلك السلطات تغير رأيها ..

أما قصه (المسح بالطيب) الى أدخلها مرقس هنا ، فانها تبدو كواحدة من القصص التى كانت متداوله دون تحديد لموقعها فى فترة رسالة يسوع ، لهذا نجد القديس يوحنا يذكرها مبكرا عما أورده القديس مرقس ببضعة أيام (يوحنا١٢ : ١) وكذلك يضعها القديس لوقا فى موقع مختلف تماما من سيرة يسوع (اذا اعتبرنا ماذكره فى ٧ : ٣٦ ومابعدها صورة مختلفة لنفس القصة)

فبينما نجدها فى إنجيل مرقس قد حدثت فى منزل سمعان الأبرص من قرية بيت عنيا . . نجدها فى أنجيل يوحنا قد حدثت فى بيت مريم ومرثا ولعازر (١٢ : ١ — ٢) . .

وبملاحظة اختلاف الأسماء والأوصاف المذكورة فى كل من يوحنا ١٢ : ٣، ومتى ٢٦ : ٨، ولوقا ٧ : ٣٧ تظهر الأصالة النسبية لرواية مرقس »(١)

★

ونجد انجيل متى قد أخذ بما رواه مرقس تقريبا عن حادث المسح بالطيب ، الا أنه يقرر أن التلاميذ هم الذين أغتاظوا من عمل المرأة (فلما رأى تلاميذه ذلك أغتاظوا — ٢٦ : ٨) — وليس « قوم مغتاظين فى أنفسهم » كما ذكر مرقس .

أما روايتى لوقا ويوحنا فتختلفان عما رواه مرقس ومتى ، كما تختلفان فيما بينهما ، كما يتضح من الآتى :

يقول انجيل لوقا : « وسأله واحد من الفريسيين أن يأكل معه فدخل بيت فريسى واتكا . وإذا امرأة فى المدينة كانت خاطئة إذ علمت أنه متكىء فى بيت الفريسى جاءت بقارورة طيب . ووقفت عند قدميه من ورائه باكية وابتدأت تبل قدميه بالدموع وكانت تمسحهما بشعر رأسها وتقبل قدميه وتدهنهما بالطيب .

فلما رأى الفريسى الذى دعاه ذلك تكلم فى نفسه قائلا لو كان هذا نبيا لعلم من هذه الامرأة التى تلمسه وماهى . إنها خاطئة .

فأجاب يسوع وقال له ياسمعان عندى شىء أقوله لك . . كان لمداين مديونان . . سامحهما جميعا . فقال أيهما يكون أكثر . فأجاب سمعان وقال أظن الذى سامحه بالأكثر . فقال له بالصواب حكمت .

ثم التفت الى المرأة وقال لسمعان اتنظر هذه المرأة . إنى دخلت بيتك وماء لأجل رجلى لم تعط . وأما هى فقد غسلت رجلى بالدموع ومسحتها بشعر رأسها . قبلة لم تقبلنى . وأما هى فمنذ دخلت لم تكف عن تقبيل رجلى . بزيت لم تدهن رأسى . وأما هى فقد دهنت بالطيب رجلى . من أجل ذلك أقول لك قد غفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيرا — ٧ : ٣٦—٤٧»

★

---

(١) المرجع ٦ — ص ٢٧٠ ، ٢٧١

ويقول انجيل يوحنا : « ثم قبل الفصح بستة أيام اتى يسوع الى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذى أقامه من الأموات. فصنعوا له هناك عشاء . وكانت مرثا تخدم وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه .

فأخذت مريم (أختهما) منا من طيب ناردين خالص كثير الثمن ودهنت قدمى يسوع ومسحت قدميه بشعرها . فامتلأ البيت من رائحة الطيب.

فقال واحد من تلاميذه وهو يهوذا سمعان الاسخريوطى المزمع أن يسلمه . لماذا لم يبع هذا الطيب بثلاثمائة دينار ويعط للفقراء . قال هذا ليس لأنه كان يبالى بالفقراء بل لأنه كان سارقا وكان الصندوق عنده وكان يحمل مايلقى فيه (إذ كان أمينا لصندوق الجماعة) .

فقال يسوع اتركوها . إنها ليوم تكفينى قد حفظته . لأن الفقراء معكم فى كل حين وأما أنا فلست معكم فى كل حين — ١٢ : ١ — ٨ .

مما سبق يتبين أن الاناجيل اختلفت تماما فى هذه القصة التى تتكلم عن مسح جسد يسوع باعتباره مقدمة لأحداث القتل والصلب .

فكما أن الاناجيل اختلفت فى توقيتها ، فانها اختلفت كذلك فى عناصرها الرئيسية مثل :

مكان الحادث : فى بيت سمعان الأبرص (حسب مرقس ومتى) — وفى بيت فريسى (لوقا) وفى بيت الأخوة لعازر ومريم ومرثا (يوحنا).

شخصية المرأة : مجهولة (مرقس ومتى) — وخاطئه (لوقا) — وامرأة صديقة هى مريم أخت لعازر (يوحنا) .

ماذا فعلت : دهنت رأس يسوع بالطيب (مرقس ومتى) — دهنت رجليه بالطيب (لوقا ويوحنا) .

رد الفعل عند المشاهدين : اغتاظ قوم لاسرافها (مرقس) — واغتاظ التلاميذ (متى) — وكان تساؤل الفريسى مع نفسه حول معرفة يسوع بشخصية المرأة (لوقا) — واغتاظ يهوذا الاسخريوطى لاسرافها (يوحنا).

★★

خيانة يهوذا

يقول مرقس : « ثم إن يهوذا الاسخريوطى واحد من الاثنى عشر مضى الى رؤساء الكهنة ليسلمه إليهم .

ولما سمعوا فرحوا ووعدوه أن يعطوه فضة . وكان يطلب كيف يسلمه فى فرصة موافقة ١٤ : ١٠ — ١١ »

★

أما متى فقد غير — كما يقول جون فنتون — « فى قول مرقس : ووعدوه أن يعطوه فضة — الى : فجعلوا له (بمعنى دفعوا له — They paid him) ثلاثين من الفضة — لكن من غير المحتمل أن يكون لدى متى معلومات تاريخية حول هذه النقطة ، حيث أن كلماتها مقتبسة من سفر زكريا الذى يقول : فقلت لهم إن حسن فى أعينكم فاعطوفى أجرتى والا فامتنعوا . فوزنوا أجرتى ثلاثين من الفضه — ١١ : ١٢ .

كذلك يوجد تلميح الى ما فى الاصحاحات الأخيرة من زكريا وقد ذكرها متى فى ٢١ : ٥ ، ٢٤ : ٣ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٢٦ : ٢٨ ، ٢٧ : ٩ لقد قرأ متى هذه التفاصيل من العهد القديم » (٢)

ونقد سبق أن بينا خطأ الاستشهاد بهذه الفقرة من أسفار العهد القديم .

★

وتتفق رواية لوقا مع رواية مرقس ألا أنه يقرر أمرا هاما — سنتعرض له ثانية فيما بعد — وهو أن خيانة يهوذا بدأت بعد أن دخل فيه الشيطان وقبل أن يبدأ العشاء — فيقول :

«فدخل الشيطان فى يهوذا الذى يدعى الاسخريوطى وهو من جملة الاثنى عشر . فمضى وتكلم معهم رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلمه إليهم . ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة ٢٢ : ٣ — ٥ »

★★★

---

(٢) المرجع ٧ ـ ص ٤١٢

٢ ـ العشاء الاخير

التحضير للعشاء الاخير

يقول مرقس : « وفى اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه أين تريد أن نمضى ونعد لتأكل الفصح .

فأرسل اثنين من تلاميذه وقال لهما إذهبا الى المدينة فيلا قيكما انسان حامل جرة ماء اتبعاه . وحيثما يدخل فقولا لرب البيت أن المعلم يقول أين المنزل حيث أكل الفصح مع تلاميذى فهو يريكما علية كبيرة مفروشة معدة . هناك أعدا لنا .

فخرج تلميذاه وأتيا الى المدينة ووجدا كما قال لهما . فأعدا الفصح ـ ١٤ : ١٢ ـ ١٦ »

« **إن أغلب لمفسرين يعتقدون أن هذه الفقرة (بأعدادها من رقم ١٢ الى١٦) إنما كانت فى الواقع إضافه أدخلت فيما بعد إلى الرواية التى كان يتبعها القديس مرقس فى هذا الجزء من انجيله** . ومن بين الأسباب لذلك مايأتى :

١ ـ وصف اليوم الذى قيل أن القصة حدثت فيه بأسلوب لايستخدمه اليهودى العادى الذى كان معاصرا لها .

٢ ـ وصف اتباع يسوع فى كل فقرة من هذه الاصحاح (الرابع عشر) بأنهم تلاميذه ، بينما أشير إليهم باصرار فى هذه الفقرة بأنهم الاثنى عشر.

٣ ـ إن كاتب العدد ١٧ (الذى يقول : ولما كان المساء جاء مع الأثنى عشر) لايعلم شيئا عن رحلة التلميذين التى ذكرت فى العدد ١٣ . فلو كان كاتب العدد ١٧ يعلم محتويات تلك الفقرة ، لكان عليه أن يتحدث عن : العشرة (وليس عن الاثنى عشر ، أى أن العدد ١٧ كان يجب أن يقرأ هكذا : ولما كان المساء جاء مع العشرة) » . (٣)

★

---

(٣) المرجع ٦ ـ ص ٣٧٦

ويختلف متى عن مرقس فى قصة الاعداد للعشاء ، إذ يجعل التلاميذ جميعا يشتركون فى هذا الاعداد — (٤) فيقول :

« فقال (يسوع لتلاميذه) اذهبوا الى المدينة الى فلان وقولوا له . المعلم يقول إن وقتى قريب . عندك أصنع الفصح مع تلاميذى . ففعل كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح — ٢٦ : ١٨ — ١٩ »

* * *

توقيت العشاء الأخير وأثره على قضية الصلب

« يتفق متى مع مرقس (وكذلك لوقا ٢٢ : ٨) فى أن العشاء الأخير كان هو الفصح ، وعلى العكس من ذلك نجد الإنجيل الرابع يجعل الفصح يؤكل فى المساء بعد موت يسوع (يوحنا ١٨ : ٢٨) .

ويرى أغلب العلماء أن توقيت كل من متى ومرقس (ولوقا) صحيح ، وأن يوحنا قد غير ذلك لأسباب عقائدية »(٥) .

ذلك أن يوحنا يقرر أن العشاء الأخير الذى حضره يسوع مع تلاميذه كان قبل الفصح : «أما يسوع قبل عيد الفصح .. فحين كان العشاء .. قام عن العشاء وخلع ثيابه وأخذ منشفة وأتزر بها . ثم صب ماء فى مغسل وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ — ١٤ : ١ — ٥ » .

وكذلك يقرر يوحنا أنهم قبضوا على يسوع فى مساء اليوم السابق لأكل الفصح ، وذلك فى قوله :

« ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية . وكان صبح . ولم يدخلوهم إلى دار الولاية لكى لا يتنجسوا فيأكلون الفصح — ١٨ : ٢٨ »

---

(٤) المرجع ٧ — ص ٤١٤

(٥) المرجع ٧ — ص ٤١٥

إن إختلاف الأناجيل فى توقيت العشاء الاخير ترتب عليه اختلافهم فى نقطة جوهرية تعتبر واحدة من أهم عناصر قضية الصلب ، ألا وهى تحديد يوم الصلب . فاذا أخذنا برواية مرقس ومتى ولوقا لكان يسوع قد أكل الفصح مع تلاميذه مساء الخميس ثم كان القبض بعد ذلك بقليل فى مساء الخميس ذاته وبذلك يكون الصلب قد حدث يوم الجمعة .

أما الأخذ برواية يوحنا فانه يعنى أن القبض كان مساء الأربعاء ، وأن الصلب حدث يوم الخميس .

هل حدث الصلب يوم الخميس أم يوم الجمعة ؟ !!

★★

العشاء الأخير والتلميذ الخائن

يقول مرقس « ولما كان المساء جاء مع الاثنى عشر. وفيما هم متكئون يأكلون قال يسوع الحق أقول لكم أن واحداً منكم يسلمنى . الآكل معى فابتدأوا يحزنون ويقولون له واحداً فواحداً هل أنا . وآخر هل أنا .

فأجاب وقال لهم هو واحد من الإثنى عشر الذى يغمس معى فى الصفحة .

إن ابن الإنسان ماض كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الإنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد — ١٤ : ١٦ — ٢١ » .

★

أما « التغييرات التى أدخلها متى على رواية مرقس فتعتبر بسيطة ، إذ قد حذف قول مرقس فى العدد ١٨ : الآكل معى — وهذا غريب ، حيث أن هذا النص يعطى تلميحاً لما فى المزمور ٤١ : ٩ (الذى يقول : آكل خبزى رفع على عقبه) وقد اقتبسه يوحنا فى ١٣ : ١٨) علما بأن متى لا يترك أى نقطة تشير إلى تتمة كتب العهد القديم إلا إستخدمها.

لكن بعض مفسرى إنجيل مرقس يعتقدون أن هذه الكلمات لم تكن فى إنجيل مرقس عندما إستخدمه متى ، وأنها أضيفت فيما بعد .

كذلك فإن متى قد أضاف كلمة ربى فى العدد ٢٢ (الذى يقول : فحزنوا جداً وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يارب) .

كما أضاف العدد ٢٥ بأكمله (الذى يقول : فأجاب يهوذا مسلمه وقال هل أنا هو ياسيدى . قال له أنت قلت »(٦) .

★

ويقول لوقا : « ولما كانت الساعة اتكأ والإثنا عشر رسولا معه . وقال لهم شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم ..

وأخذ خبزاً وشكر وأعطاهم قائلا هذا هو جسدى(الذى يبذل عنكم . اصنعوا هذا لذكرى وكذلك الكاس أيضاً بعد العشاء قائلا هذه الكاس هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم) — ٢٢ : ١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٠ ويقول جورج كيرد فى تفسيره لهذه الفقرات ، « إن قصة العشاء الأخير فى لوقا تعتبر كابوساً . فهى تثير مشاكل فى أغلب مواضيع دراسة العهد الجديد ، كما أنها أعطت الأساس لطوفان من النظريات المتصارعة .

وفى مقدمة المشاكل تأتى مشكلة النص ، ذلك أن أغلب النسخ تشتمل على ما يعرف بالنص الأطول وهو الذى يحتوى على جزء من العدد ١٩ ، والعدد ٢٠ (وقد كتبا بالبنط الأسود بين قوسين) كما أن هناك النص الغربى — وقد سارت عليه النسخة القياسية المراجعة — الذى يحذف هذين العددين ..

ويبدوا أنهما قد أخذا مما جاء فى الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس ١١ : ٢٤ ، ٢٥ ، وجزءا من مرقس ١٤ : ٢٤ ، ثم أدخلا إلى النص فى عهد مبكر على يد كاتب اعتقد أن قصة لوقا خاطئة »(٧).

★

---

(٦) المرجع ٧ — ص ٤١٥ ، ٤١٦

(٧) المرجع ٨ — ص ٢٣٦ ، ٢٣٧

أما رواية يوحنا ففيها إختلاف يلحظه القارىء بسهولة عما رووه الأناجيل الثلاثة الأخر — فهو يقول : « لما قال يسوع هذ اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم أن واحدا منكم سيسلمنى .

فكان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض وهم محتارون من قال عنه . وكان متكئا فى حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه . فأومأ إليه — سمعان بطرس أن يسأل من عسى أن يكون الذى قال عنه .

فاتكأ ذاك على صدر يسوع وقال له ياسيد من هو .

أجاب يسوع هو ذاك **الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه** .

فبعد اللقمة دخله الشيطان . .

فقال له يسوع ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة ..

فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلا — ١٣ : ٢١ - ٣١ »

★

ولتحديد شخصية الخائن نجد الأناجيل قد أوردت اجابات مختلفة لسؤال التلاميذ معلمهم عمن يكون ، فقد قال مرقس على لسان المسيح « الذى يغمس معى فى الصفحة » .

وقال متى كلاماً يقرب من هذا إلا أنه أضاف : « فأجاب يهوذا مسلمه وقال هل أنا هو يا سيدى . فقال له أنت قلت »

وتوقف لوقا عند القول بكلام شبيه بكلام مرقس .

أما يوحنا فقد قال : « الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه . فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطى »

★

بقيت نقطة هامة سبقت الإشارة إليها عند الكلام عن خيانة يهوذا ، ألا وهى أن الشيطان دخل يهوذا قبل العشاء (حسب رواية لوقا ٢٢ : ٣) إذ قد خرج بعد ذلك ليتآمر مع رؤساء الكهنة .

لكن يوحنا يقرر أن الشيطان دخل يهوذا بعد أن أعطاه يسوع اللقمة (١٣ : ٢٧) أثناء العشاء .

★★

شك التلاميذ:

يقول مرقس : « وقال لهم يسوع أن كلكم تشكون فى فى هذه الليلة . لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتتبدد الخراف . ولكن بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل .

فقال له بطرس وان شك الجميع فأنا لا أشك . فقال يسوع الحق أقول لك إنك اليوم فى هذه الليلة قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات .

فقال بأكثر تشديد ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك وهكذا قال أيضاً الجميع — ١٤ : ٢٧ — ٣١ » .

★

ويقول نينهام « إن هذا الجزء يبين أن ما حدث كان وفق نبؤة العهد القديم . وفى هذه الحالة الخاصة (بشك التلاميذ) فإن ذلك — الكلام عن النبؤة — كان يبدو ضرورياً إذ لا بد أنها كانت عقبة كبيرة بالنسبة للمسيحيين الأوائل ، وخاصة فى روما ، الذين تساءلوا عن سبب إنكار بطرس وبقية التلاميذ ليسوع أثناء حياته الجسدية ، وهم الذين عرف أنهم شهود للمسيح لا يخافون فى شهادتهم شيئاً ..

ولقد وجد جزء من بردية مكتوبة تمثل نسخة من مادة هذا الجزء ، تحذف العدد ٢٨ (الذى يقول : لكن بعد قيامى أسبقكم إلى الجليل) وتحذف كذلك كلمة : مرتين المذكورة فى العدد ٣٠ كذلك فإن الدقة المتناهية للتفصيلات المذكورة فى العدد ٣٠ قد ترجع إلى تعديل أدخل مؤخراً على التعاليم »(٨) .

★

---

(٨) المرجع ٦ — ص ٣٨٧ ، ٣٨٨

ولا يختلف متى كثيراً عن مرقس إلا فى قول الأول : « انك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات — ٢٦ : ٣٤ » .

وبالمثل موقف لوقا الذى يقول : « يا بطرس لا يصيح الديك اليوم قبل أن تنكر ثلاث مرات انك تعرفنى — ٢٢ : ٣٤ » .

★

لكن الشىء الهام هنا هو قول يسوع بوضوح لتلاميذه — كل تلاميذه « كلكم تشكون فى هذه الليلة » .

فرغم أن الجملة واضحة تماماً وتعنى شك التلاميذ فى معلمهم ، إلا أن المعنى يزداد وضوحاً حين نعلم أن كلمة : تشكون تعنى : ترتدون عن عقيدتكم ، وتزلون — كما جاء فى التراجم غير العربية .

ومن المعلوم كذلك أن الانكار غير الشك : فقد ينكر الإنسان أمراً أمام الناس بينما هو يعلمه يقينا ويسره فى قرارة نفسه ، أما الشك فيمكن تعريفه فى إحدى صوره التى تنطبق على حالتنا هذه بأنه تراجع — يجرى داخل النفس — عن التصديق بشىء ..

لقد آمن التلاميذ بالمسيح رسولا من الله يقول الصدق ، وهو إذا تنبأ بمستقبل كانت تنبؤاته صادقة ولا بد أن يحدث ما سبق أن تنبأ به .

أما إذا رأى التلاميذ أن ما حدث يعتبر مخالفاً لما سبقت به نبؤة المسيح فعندئذ يكون الشك ، وهنا فقط يشك التلاميذ فى المسيح ، ويرتدون عن عقيدتهم فى الإيمان به والتصديق برسالته .

إن ذلك كله مسلمات لا تحتاج إلى برهان .

وعلينا بعد ذلك أن نرقب ما ترويه الأناجيل من أحداث ، ثم نبحث عن شىء هام ألا وهو : شك التلاميذ فى معلمهم ، الذى قيل أنه حدث فى الليلة الأخيرة .

★ ★ ★

٣ — الليلة الأخيرة

آلام المسيح

يقول مرقس : « وجاءوا إلى ضيعة إسمها جثسيمانى فقال لتلاميذه أجلسوا ههنا حتى أصلى .

ثم أخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا وابتدأ يدهش ويكتئب . وقال لهم نفس حزينة جداً حتى الموت .

أمكثوا هنا وأسهروا .

ثم تقدم قليلا وخر على الأرض وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان أمكن وقال يا أبا الآب كل شىء مستطاع لك .

فأجز عنى هذه الكأس . ولكن ليكن ما أريد أنا بل ما تريد أنت.

ثم جاء ووجدهم نياما . فقال لبطرس يا سمعان أنت نائم . أما قدرت أن تسهر ساعة واحدة .

اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف ومضى أيضاً وصلى قائلا ذلك الكلام بعينه .

ثم رجع ووجدهم أيضاً نياما إذ كانت أعينهم ثقيلة فلم يعلموا بماذا يجيبونه .

ثم جاء ثالثة وقال لهم ناموا الآن واستريحوا . يكفى . قد أتت الساعة هوذا ابن الإنسان يسلم إلى أيدى الخطاة .قوموا لنذهب . هوذا الذى يسلمنى قد اقترب ـ ١٤ : ٣٢ ـ ٤٢ » .

★

إن هذا الجزء « يصف آخر مرة كان فيها يسوع مع تلاميذه ، إذ أننا نجد أن نهاية الفقرة التالية (لنظيره من إنجيل متى) تقول : **حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا** »(٩) .

---

(٩) المرجع ٧ ـ ص ٤٢١

« ولقد انقسمت الآراء بعنف حول القيمة التاريخية لهذا الجزء ، وجرى تساؤل عما إذا كان يعتبر فى الحقيقه جزءاً من المصدر الذى روى عنه القديس مرقس .

فالبعض يشير إلى أن مثل هذا الوصف (لحال يسوع فى وقت الشدة) ربما يكون قد صدر عن بطرس . ويؤكدون عدم إحتمال قيام الكنيسة باختراع مشهد كان بالتأكيد مدمراً للرسل، كما أنه أكد حالة الفزع والحزن التى حلت بيسوع ـ وذلك خلافاً لحالة الثبات ورباطة الجاش التى واجه بها الموت كثير من الشهداء المسيحيين الأوائل ..

ويؤكد آخرون أنه لم يكن فى مقدور أحد أن يكون شاهداً لأغلب الحوادث المذكورة هنا ، كما لم يكن فى مقدوره أن يعلم ما هية الصلاة التى صلاها يسوع وحيداً . ولذلك فإنهم يعتبرون أن الصلاة النموذجية (فى العدد ٣٦ : يا أبا الأب كل شىء مستطاع لك فأجزعنى ..)، وتكرارها ثلاث مرات، إنما هى شىء مصطنع مثل القول بانكار بطرس ثلاث مرات..

ان القرار الموثوق منه (حول حقيقة ما جرى فى الحديقة) مستحيل »(١٠) .

★

ولا تختلف رواية متى كثيراً عما رواه مرقس إلا فى قوله : « وكان يصلى قائلا يا أبتاه إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ـ ٢٦ : ٣٩ » .

بدلا من قول مرقس : « وقال يا أبا الآب كل شئ مستطاع لك فأجزعنى هذه الكأس » .

ويوجد سبب قوى لهذا التغيير الذى أحدثه متى فى روايه مرقس ، وهو ما سوف نذكره عند دراسة الموضوع الثالث من قضية الصلب وهو : المسيح ومحاولات قتله ، وأظن القارى يستطيع الوصول إلى نتيجة محددة فيه ، حبذا لو أعاد قراءة ما يرويه الإنجيل عن آلام المسيح .

★

---

(١٠) المرجع ٦ ـ ص ٣٨٩ ، ٣٩٠

أما رواية لوقا عن آلام المسيح فنجد فيها ما يجعلنا نعرضها — إذ أنها تقول : « وخرج ومضى كالعادة إلى جبل الزيتون . وتبعه أيضاً تلاميذه.. ولما صار إلى المكان قال لهم صلوا لكى لا تدخلو فى تجربة .

وانفصل عنهم نحو رمية حجر وجثا على ركبتيه وصلى . قائلا يا أبتاه إن شئت أن تجيز عنى هذه الكأس . ولكن لتكن لا ارادتى بل ارادتك .

وظهر له ملاك من السماء يقويه .واذ كان فى جهاد كان يصلى بأشد لجاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض .

ثم قام من الصلاة وجاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً من الحزن . فقال لهم لماذا أنتم نيام قوموا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة — ٢٢ : ٣٩ — ٤٦ » .

ويقول جورج كيرد فى تفسيره لهذه الفقرات : « حسب رواية مرقس (الذى كان مصدرا للوقا) **نجد أن يسوع بدأ يكتنفه الآن الفزع والذهول** ، وقد تحدث إلى تلاميذه عن الحزن الذى صحب استنزاف حياته وتلاشيها ، ولما كان غير قادر على رفقة أعز أصحابه (تلاميذه) فانه قضى الليل فى تشنجات متتالية من صلاة المكروب .

لكن رواية لوقا المختصرة (بالنسبة لرواية مرقس) تعطينا ، بقدر الإمكان ، انطباعاً أقوى عن حالة الاضطراب التى حلت بيسوع . فلقد أخبرنا أن يسوع هو الذى انتزع نفسه بعيداً عن أصحابه ، وأنه كان فى ألم مبرح ، وأن عرقه صار مثل قطرات دم .

وعندما نتذكر الشجاعة والثبات التى واجه بها الموت رجال آخرون شجعان ، بكل أشكاله البربرية وما كان يصحب ذلك من تعذيب مفرط ، فلا يسعنا إلا أن نتساءل عن ماهية الكأس التى كان يسوع يرجو الله — فى صلاته — أن يجيزها عنه .

إن صلاة يسوع ترينا أن **عذاب الشك** كان أحد عناصر محنته المعقدة . فلكم تنبأ بآلامه لكنه الآن عشية حدوثها ، نجده ينكص على عقبيه ، ولم يكن هذا مصحوباً فقط بالتقلص الطبيعى الذى ينشأ عن التعذيب البدنى

بل كان يصحب ذلك الخوف من ألا تكون تلك المعاناة بعد كل ذلك — هى مشيئة الله . .

إن تحذير يسوع لتلاميذه من خطر التجربة يكشف لنا عن شعوره بأنه شخصياً وتلاميذه قد أحاطت بهم سلطات الظلمة الروحيـــة ، التى جاهدها فى مستهل دعوته . ولقد كان من بواعث محنته ، ما شعر به من أن جهاده وما كان يمثله من طهر وكمال ، يتعرض آنذاك بصورة مروعة لعملية اغتصاب نهائى على يد سلطات الظلمة »(١١) .

هذا — ولما كانت بعض المراجع القديمة تحذف العددين ٤٣ ، ٤٤ (وقد كتبا بالبنط الأسود) رغم وجودها فى أغلب النسخ ، وإلمام علماء المسيحية فى القرن الثانى بهما « **فان هذا الحذف يمكن إرجاع سببه إلى فهم أحد الكتبة بأن صورة يسوع هنا** (التى رسمتها هذه الفقرة) **وقد اكتنفها الضعف البشرى ، كان يتضارب مع اعتقاده فى الابن الإلهى الذى شارك أبيه فى قدرته القاهرة »(١٢) .**

★

وأما رواية يوحنا فانها تذكر أن يسوع استنفذ الفترة ما بين خروج يهوذا لتنفيذ مؤامرته ، وعودته مع القوة التى جاءت للقبض على معلمه ، فى جعل يسوع يلقى محاضرة طويلة على تلاميذه استغرقت أكثر من أربعة إصحاحات هى : بقية الإصحاح ١٣ ثم الإصحاحات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ فكانت تمثل بذلك نحو ٢٠ ٪ من حجم إنجيل يوحنا . وقد تخلل تلك المحاضرة حوار بين يسوع وتلاميذه ، وفى كل هذا نجد يوحنا يركز على ما اعتبره البعض — فيما بعد — تأكيداً على لاهوت المسيح .

ففى هذه المحاضرة الطويلة قال يوحنا على لسان المسيح :

« الذى رآنى فقد رأى الآب .. أنا فى الآب والآب فى .. الآب الحال فى هو يعمل الأعمال .. ليكن الجميع واحداً كما أنك أنت أيها الآب فى

---

(١١) المرجع ٨ — ص ٢٤٣

(١٢) المرجع ٨ — ص ٢٤٣

وأنا فيك ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا . . أنا فيهم وأنت فى ليكونوا مكملين إلى واحد . .

ولما « قال يسوع هذا وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادى قدرون حيث كان بستان دخله هو وتلاميذه وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع . لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه .

فأخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم من تطلبون .. — ١٨ : ١ — ٤ »

لقد صمت يوحنا عن آلام المسيح ومعاناته فى الحديقة ، ولم يذكر لنا سوى نبذة يسيرة عن حالة الفزع والاضطراب التى لحقت به حين شعر بخطر المؤامرة يقترب منه ، وكان ذلك أثناء العشاء الأخير — إذ قال يوحنا : « **لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق أقول لكم أن واحداً منكم سيسلمنى** » .

★★

القبض

يقول مرقس : وللوقت فيما هو يتكلم أقبل يهوذا واحداً من الإثنى عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ . وكان مسلمه (يهوذا) قد أعطاهم علامة قائلا الذى أقبله هو .هو. أمسكوه وامضوا به بحرص .

فجاء للوقت وتقدم إليه قائلا يا سيدى يا سيدى . وقبله .

فألقوا أيديهم عليه وأمسكوه .

فاستل واحد من الحاضرين السيف وضرب عبدرئيس الكهنةفقطع أذنه .

فأجاب يسوع وقال لهم كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى كل يوم كنت معكم فى الهيكل أعلم ولم تمسكونى . ولكن لكى تكمل الكتب .

فتركه الجميع وهربوا . .

وتبعه شاب لابساً إزاراً على عريه فأمسكه الشبان . فترك الإزار وهرب منهم عريانا — ١٤ : ٤٣ — ٥٢ »

★

« **من المناسب أن نضيف هنا أن باكون قد طعن فى القيمة التاريخية لكل هذه الفقرات فى مقال هام وشهير** * : **ماذا كانت خيانة يهوذا ؟** — وذلك على أساس أن السلطات كانت تعرف يسوع ، كما كانت على علم تام بتحركاته ، وكان فى استطاعتها أن تكتشف مكانه بسهولة وتقبض عليه فى هدوء ، دون ما حاجة إلى طلب معاونة غير مضمونة من خونة مأجورين .. هذا — وبالنسبة للعدد ٤٧ (فاستل واحد من الحاضرين السيف .. فقطع أذنه) فمن الواضح أنه قد ألحق بأسلوب مفكك جداً بما قبله..

ولعل القول : لكى تكمل الكتب — قد أدخل هنا على الرغم من عدم ورود فقرة معينة من كتب العهد القديم تناسب هذا الموقف ..

كذلك فان العددين ٥١ ، ٥٢ (وتبعه شاب . . عرياناً) يدعوان للحيرة ، فقد وضعا بطريقة مربكة بعد العدد ٥٠ ، ولهذا فان بعض النساخ قد نقحوا الأصل الإغريقى لكى ينصقل الترابط مع ما قبلهما ، كما أن كلا من متى ولوقا قد حذفهما من إنجيله »(١٣)

★

« أما التغييرات الأساسية التى أدخلها متى إلى رواية مرقس فهى إضافته إلى قول يهوذا : السلام يا سيدى ، وكذلك قول يسوع إلى أحد تابعيه بعد قطع أذن عبد رئيس الكهنة : رد سيفك إلى مكانه لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون . أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشاً من الملائكة . فكيف تكمل أنه هكذا ينبغى أن يكون .

---

* Hibbert Journal (Vol. XIX for 1920-1, pp. 476 ff.)

(١٣) المرجع ٦ ـ ص ٣٩٤ ـ ٣٩٦

كذلك حذف متى قصة مرقس عن الشاب الذى هرب عريانا »(١٤).

★

ويسير لوقا فى روايته بمحاذاة متى ، إلا أنه يرفض رواية الإثنى عشر جيشاً من الملائكة ، كما رفض رواية مرقس عن الشـــاب الذى هرب عرياناً .

ثم هو يذكر شيئاً مختلفاً عن قبلة — يهوذا — إذ يقول : « وبينما هو يتكلم إذا جمع والذى يدعى يهوذا أحد الإثنى عشر يتقدمهم فدنا من يسوع ليقبله. فقال له يسوع يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الإنسان — ٢٢ : ٤٧ — ٤٨ » .

★

وأما روايه يوحنا فانها تعطى صورة مختلفه تماماً عما روته الأناجيل الثلاثه عن حادث القبض — فهو يقول : « أخذ يهوذا الجند وخداماً من عند رؤساء الكهنة والفريسيين .

وجاء إلى هناك بمشاعل ومصابيح وسلاح .

فخرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال من تطلبون .

أجابوه يسوع الناصرى . قال لهم يسوع أنا هو . وكان يهوذا مسلمه أيضاً واقفاً معهم .

فلما قال لهم أنى أنا هو رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض .

فسألهم أيضاً من تطلبون . فقالوا يسوع الناصرى . أجاب يسوع قد قلت لكم أنى أنا هو فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون ليتم القول الذى قاله أن الذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحداً .

ثم إن سمعان بطرس كان معه سيف فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى وكان اسم العبد ملخس . فقال يسوع لبطرس إجعل سيفك فى الغمد . الكأس الذى أعطانى الآب ألا أشربها — ١٨ : ٣ — ١١ » .

★

---

(١٤) المرجع ٧ — ص ٤٢٤ — ٤٢٦

أين شك التلاميذ ؟ !

لقد سبق أن ذكرت الأناجيل على لسان المسيح قوله لتلاميذه : « كلكم تشكون فى فى هذه الليلة » .

ونحن هنا أمام احتمالين :

أحدهما — أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده ، ورغم أنها ستسبب له ألماً ومعاناة إلا أنها ستفشل وينقذه الله من القتل الذى ينتظره على أيدى مدبريها .

ثانيهما — أن يكون المسيح قد تنبأ لتلاميذه بأن مؤامرة ستدبر ضده وتسبب له ألماً ومعاناة وتنتهى بقتله .

فإن كانت الحالة الأولى ، ورأى التلاميذ — حسب ما ترويه الأناجيل — بكل وضوح ، أن المسيح قبض عليه فى تلك الليلة ، واستطاعت قوى الظلم أن تنتصر عليه وتحقق ماتريد ، فعندئذ لا بد أن يشك التلاميذ فى معلمهم الذى تنبأ لهم بنجاته ، ثم أظهرت الحوادث أمام أعينهم بعد ذلك أنه لم يحدث .

هنا فقط يحدث الشك والزلل والارتداد عن العقيدة .

ولما كانت الأناجيل قد أظهرت جميعها أن التلاميذ لم يشكوا فى المسيح فى تلك الليلة .

فان هذا يعنى أن الأحداث سارت حسبما جاء فى تلك الحالة التى تنتهى بنجاة المسيح من القبض والقتل .

أما إن كانت الحالة الثانية ، وهى أن المسيح تنبأ لتلاميذه بالقبض عليه وقتله ، فان ما شاهده التلاميذ — حسب رواية الأناجيل أيضاً — هو أن ذلك ما حدث

ولا محل للشك إذن فى هذه الحالة .

ولا ريب فى أن نفى الشك عن التلاميذ فى تلك الليلة ، يترتب عليه بالضرورة إلحاق تنبوءات خاطئة بالمسيح وهو الأمر الذى لا يمكن أن يصدر عنه .

إن هذه النقطة وحدها تقطع بأحد أمرين :

إما التسليم بأن الأناجيل تنسب للمسيح أقوالا وتنبوءات خاطئة .

وإما التصديق بفشل المؤامرة ضد المسيح ، وبالتالى نجاته من القبض عليه وقتله .

*

مما سبق نجد أن الأناجيل الإربعة إختلفت فى قصة القبض وملابساتها :

فقد روى كل من مرقس ومتى أن يهوذا قبل المسيح ، وروى لوقا أن يهوذا كان على وشك أن يقبله بينما لا يعرف يوحنا شيئاً عن القبلة .

ويذكر كل من مرقس ومتى أن تحية وكلاما جرى بين يهوذا والمسيح ويصمت لوقا عن تلك التحية بينما لا يذكر يوحنا شيئاً عن يهوذا سوى الصمت التام بعد أن قاد القوة التى جاءت للقبض عليه فى البستان .

وإذا صرفنا النظر عما جاء فى روايتى الإثنى عشر جيشاً من الملائكة ، والشاب الذى هرب عرياناً — لبقيت ثلاث نقاط أساسية لابد من استيعابها تماماً والوقوف عندها ، وهى :

١ — أن القبلة كانت الوسيلة الوحيدة لتعريف أفراد القوة بشخصية المسيح (حسب مرقس ومتى ولوقا) — بينما تم ذلك بعد أن أظهر المسيح ذاته لهم بطريقة تنم عن التحدى والثبات الذى يتحلى به المجاهدون من أصحاب العقائد والرسالات .

٢ — وأن حادثا غير عادى وقع فى تلك اللحظة مما أذهل أفراد القوة وجعلهم يرجعون إلى الوراء ويسقطون على الأرض .

٣ — وأن التلاميذ — حسب ما يرويه كتبة الأناجيل — لم يشكوا فى المسيح ولو للحظة واحدة من تلك الليلة التى حدث فيها القبض .

ولما كانت قصة المسيح بكل تفاصيلها ترد دائما إلى تنبوءات العهد القديم وخاصة سفر المزامير . فان المزمور ٩١ الذى يستشهد به كثيراً — يقول :

« لأنك قلت يا رب ملجأى . **جعلت العلى مسكنك** .

لا يلاقيك شر ولا تدنو ضربة من خيمتك .

لأنه يوصى ملائكته بك لكى يحفظوك فى كل طرقك . على الأيدى يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك ..

أرفعه لأنه عرف اسمى . يدعونى فأستجيب له . معه أنا فى الضيق . أنقذه وأمجده . من طول الأيام أشبعه وأريه خلاصى — ٩ : ١٦ »

أليس من حق القائل أن يقول أن ملائكة الله حملت المسيح على أيديها فى تلك اللحظة التى كادت تزيغ فيها قلوب المؤمنين ، بعد أن رأى المسيح وتلاميذه أن سلطان الظلمة على وشك أن يبتلعهم ؟

أليس هذا هو ما تنطق به المزامير ؟

سبحان ربى العظيم المنقذ المخلص ..

* *

٤ — المحاكمة

المحاكمة الأولى : أمام مجمع اليهود

يقول مرقس : « مضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع . ومعه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة .

وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالسا بين الخدام يستدفئ عند النار .

وكان رؤساء الكهنة والمجمع كله يطلبون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا . لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ولم تتفق شهادتهم .. ثم قام قوم وشهدوا عليه زوراً قائلين : نحن سمعناه يقول إنى أنقض هذا الهيكل المصنوع بالأيادى وفى ثلاثة أيام ابنى آخر غير مصنوع بأياد . ولا بهذا كانت شهادتهم تتفق .

فقام رئيس الكهنة فى الوسط وسأل يسوع قائلا أما تجيب بشئ ماذا يشهد به هؤلاء عليك .

أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشئ .

فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له أأنت المسيح ابن المبارك .

فقال يسوع أنا هو . وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسا عن يمين القوة وآتيا فى سحاب السماء .

فمزق رئيس الكهنة ثيابه وقال ما حاجتنا بعد إلى شهود . قد سمعتم التجاديف . ما رأيكم فالجميع حكموا عليه أنه مستوجب الموت .

فابتدأ قوم يبصقون عليه ويغطون وجهه ويلكمونه ويقولون له تنبأ . وكان الخدام يلطمونه — ١٤ : ٥٣ — ٦٥ »

*

يقول نينهام : « ليس من السهل أن نبين كيف نشأ هذا الجزء . ولقد كان السؤال حول قيمته التاريخية — ولا يزال — موضوعا يتعرض لمناقشات حيوية . ومن الواجب أن نعرض الأسباب الرئيسية للشك فى قيمته التاريخية ، ونناقشها باختصار كما يلى :

١ — يصف القديس مرقس المحاكمة على أنها حدثت أمام المجمع — أى السنهدرين — وهو هيئة رسمية تتكون من واحد وسبعين عضوا يرأسها رئيس الكهنة ، وتمثل السلطة الشرعية العليا فى اسرائيل .

ولما كانت لائحة السنهدرين المذكورة فى المشنا ، تبين الخطوات التفصيلية التى يجب اتخاذها أمام تلك الهيئة ، فان المقارنة بين تلك الإجراءات وبين ما يذكره القديس مرقس عن محاكمة يسوع ، تكشف عن عدد من المتناقضات أغلبها جدير بالاعتبار ..

٢ — ولكن ، هل كان من الممكن أن يجتمع أعضاء السنهدرين — ولو حتى لعمل مثل تلك الإجراءات القضائية الرسمية التى تسبق المحاكمة فى منتصف ليلة عيد الفصح ، أو إذا اعتبرنا أن تقويم القديس مرقس لأسبوع الأحداث غير دقيق فهل كان من الممكن أن يجتمعوا فى منتصف الليلة السابقة لعيد الفصح ؟ ..

إن محاكمة رسمية فى مثل ذلك الوقت تبدو شيئا لا يمكن تصديقه ، كما يشك أغلب العلماء تماماً فى عقد جلسة فى مثل ذلك الوقت ، ولو لعمل تحقيقات مبدئية .

إن القديس لوقا لا يذكر شيئا عن عقد المجمع بالليل (فهو يقول : **ولما كان النهار** اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة واصعدوه إلى مجمعهم – ٢٢ : ٦٦) ، كما تبدو رواية القديس مرقس عن عقد جلسة الصباح الباكر – (التى يقول عنها : وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة .. – ١٥ : ١) – أنها قائمة على غير أساس . .

لذلك فان أغلب العلماء يعتقدون أنه لما كان القديس مرقس يعلم عن روايتين للمحاكمة (ذكر أولاهما فى ١٤ : ٥٣ – ٦٥ ، وذكر الثانية فى ١٥ : ١) ، فلعله نتيجة لمباحث خاصة حصل بها على فكرة مبهمة عما حدث بعد القبض – فانه قد فهم خطأ أن الروايتين تشيران إلى محاكمتين مختلفتين (الأولى بالليل ، والثانية بالنهار) .

وفى حقيقة الأمر فان السلطات اليهودية اجتمعت مرة واحدة فقط ، وكان ذلك فى الصباح الباكر كما هو مذكور فى ١٥ : ١ ، على أن هذا يثير سؤالا آخر :

٣ – ما مقدار الدقة فى الرواية المذكورة (فى ١٤ : ٥٣ – ٦٥) حتى يمكن الاعتماد عليها فى معرفة حقيقة ما حدث فى جلسة ذلك الصباح الباكر؟

ونجد هنا أن فكرة الخبراء قد انقسمت بشكل حاد ، فبعض المعلقين يعاملون رواية القديس باحترام زائد ، بالرغم من مشاكلها المعترف بها ، وذلك على أساس أن المعلومات الدقيقة ربما تكون قد جاءت من أعضاء المجمع الذين أصبحوا مسيحيين فيما بعد (مثل يوسف الذين كان من الرامة ونيكوديموس) – بينما يرفض آخرون ذلك باعتباره مجرد تخمين ، وهم يسوقون البراهين – المستخرجة من الفقرة ذاتها – على أنها لا تزيد عن اعتبارها استنتاج المسيحية الأولى لما ظن أنه لابد قد وقع . وفيما يلى عرض موجز لتلك البراهين :

إذا حدث تحريض لشهود الزور للتقدم بشهاداتهم ، ألم يكونوا قد لقنوا شهاداتهم مقدما — كاجراء حصيف لابد منه لكى تتفق شهاداتهم ؟

(ب) وحسب الشريعة اليهودية ، نجد أنه لا الأقوال التى نسبت ليسوع عن نقض الهيكل حتى لو أمكن إثباتها — ولا اجابته لرئيس الكهنة ، تعتبر تجديفا على الإسم الإلهى ، مما يقتضى شجبه بطريقة خاصة « حسبما يذكره سفر اللاويين .. كل من سب الهه يحمل خطيته ، ومن جدف على اسم الرب فانه يقتل . يرجمه كل الجماعة رجما — ٢٤ : ١٥ — ١٦) .

(ج) إذا كان يسوع قد أدين بسبب التجديف (كما يقرر الإنجيل) فلماذا لم تقم السلطات اليهودية ذاتها بتنفيذ العقاب ، وذلك برجمه حتى الموت ، وفق ما يقوله سفر اللاويين » (١٥) .

*

« أما متى فقد اختصر رواية مرقس ١٤ : ٥٣ — ٦٥ ، لكنه أضاف قسم رئيس الكهنة فى العدد ٦٣ (استحلفك بالله الحى أن تقول لنا هل انت المسيح ابن الله) ، كما أضاف جزءا من كلمات السخرية فى العدد ٦٨ (مثل : وآخرون لطلموه قائلين تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك) ..

كذلك غير متى إجابة يسوع لرئيس الكهنة التى قال فيها : أنا هو — إلى قوله : أنت قلت ، وأيضاً أقول لكم **من الآن** تبصرون ابن الإنسان جالساً عن يمين القوة واتيا على سحاب السماء »(١٦)

*

وتختلف رواية لوقا عن روايتى مرقس ومتى فى عنصر هام ، وهو أن الأخيرين جعلا محاكمة المقبوض عليه أمام مجمع اليهود تحدث فى الليل عقب القبض عليه مباشرة ، بينما جعلها لوقا فى صباح اليوم التالى — فهو يقول :

---

(١٥) المرجع ٦ — ص ٢٩٨ — ٤٠٣ .
(١٦) المرجع ٧ — ص ٤٢٧ — ٤٢٨ .

« فأخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة . .

والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه ..

ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه إلى مجمعهم . قائلين إن كنت أنت المسيح فقل لنا .

فقال لهم إن قلت لكم لا تصدقون وإن سألت لا تجيبونني ولا تطلقونني ..

منذ الآن يكون ابن الإنسان جالسا عن يمين قوة الله . فقال الجميع أفأنت ابن الله . فقال لهم أنتم تقولون أني أنا هو . فقالوا ما حاجتنا بعد إلى شهادة لأننا نحن سمعنا من فمه — ٢٢ : ٥٤ — ٧١ »

ويقول جورج كيرد تعليقاً على ذلك : « إن لوقا يحذف المباحث التمهيدية التي ذكرها مرقس في روايته ويأتي مباشرة إلى السؤال الحاسم: هل أنت المسيح ؟ . .

وهنا نجد أن يسوع لا يزال يفضل لقب إبن الانسان .. وعلى أية حال فانه — يجيب على السؤال إجابة مستترة يعتبرها المستجوب تصديقا على قوله . لقد كان ذلك كل ما أرادوه لكي يلفقوا إتهامهم ضده »(١٧) .

★

أما رواية يوحنا فانها مختلفة تماما عن الثلاثة الآخرين إذا أنها تجعل القوة تذهب بالمقبوض عليه إلى حنان أولا — حما قيافا رئيس الكهنة — بدلا من الذهاب إلى رئيس الكهنة مباشرة كما قال مرقس ومتى ولوقا .

كذلك فان يوحنا يروى قصة مختلفة عن استجواب رئيس الكهنة للمقبوض عليه . ويتضح ذلك من قول يوحنا :

« ثم إن الجند والحدام والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه.

ومضوا به إلى حنان أولا لأنه كان حما قيافا الذى كان رئيسا للكهنة فى تلك السنة ..

---

(١٧) المرجع ٨ — ص ٢٤٥ — ٢٤٦ .

فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه . أجابه يسوع أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما . وفى الخفاء لم أتكلم بشىء .

لماذا تسألنى أنا . اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم . هوذا هؤلاء ماذا قلت أنا .

ولما قال هذا لطم يسوع واحد من الخدام كان واقفا قائلا أهكذا تجاوب رئيس الكهنة .

أجابه يسوع إن كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى وإن حسنا فلماذا تضربنى .

وكان حنان قد أرسله موثقا إلى قيافا رئيس الكهنة — ١٨ : ١٢—٢٤».

★ ★

قصة إنكار بطرس :

لعل قصة إنكار بطرس تعتبر من القصص القلائل التى نضطر إلى نقل كل نصوصها كما ذكرتها الأناجيل الأربعة . ولم يكن مرد ذلك الى الخلاف الواضح بين ما ترويه الأناجيل عن عناصرها المختلفة ، بقدر مايرجع — فى الواقع — إلى الخلط بين رواية التنبؤ بانكار بطرس للمسيح ، وبين التنبؤ بشك جميع التلاميذ فى معلمهم فى تلك الليلة الأخيرة .

★

يقول مرقس : « فمضوا بيسوع إلى رئيس الكهنة فاجتمع معه جميع رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة وكان بطرس قد تبعه من بعيد إلى داخل دار رئيس الكهنة وكان جالسا بين الخدام يستدفىء عند النار ..

وبينما كان بطرس فى الدار أسفل جاءت أحدى جوارى رئيس الكهنة. فلما رأت بطرس يستدفىء نظرت إليه وقالت وأنت كنت مع يسوع الناصرى .

فانكر قائلا لست أدرى ولا أفهم ماتقولين . وخرج خارجا إلى الدهليز . فصاح الديك فرأته الجارية أيضاً وابتدأت تقول للحاضرين أن هذا منهم . فانكر أيضاً .

وبعد قليل أيضاً قال الحاضرون لبطرس حقا أنت منهم لأنك جليلى أيضاً ولغتك تشبه لغتهم .

فابتدأ يلعن ويحلف أنى لا أعرف هذا الرجل الذى تقولون عنه .**وصاح الديك ثانية .**

فتذكر بطرس القول الذى قاله له يسوع أنك قبل أن يصيح الديك مرتين تنكرنى ثلاث مرات . فلما تفكر به بكى —١٣ : ٥٣—٧٢ » .

يقول نينهام : « إن قصة إنكار بطرس تثير عددا من المشاكل .. ويرى بولتمان أنها أسطوريه . .

كذلك فإن إحدى النسخ الهامة التى تحذف : وصاح الديك — فانها تحذف كذلك الكلمتين ثانية ، ومرتين — من العدد ٧٢ ، كما تحذف : مرتين — من العدد ٣٠ ، وفى هذه الحالة يكون قد تم التخلص من صياح الديك مرتين وبذلك تتفق رواية مرقس مع روايتى متى ولوقا »(١٨) .

*

ويقول متى : « وأما بطرس فتبعه من بعيد إلى دار رئيس الكهنة فدخل إلى داخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية ..

أما بطرس فكان جالسا خارجا فى الدار فجاءت إليه جارية قائلة وأنت كنت مع يسوع الجليلى فانكر قدام الجميع قائلا لست أدرى ما تقولين .

ثم إذ خرج الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك وهذا كان مع يسوع الناصرى .

فأنكر أيضاً بقسم أنى لست أعرف الرجل .

وبعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس حقاً أنت أيضاً منهم فإن لغتك تظهرك .

---

(١٨) المرجع ٦ — ص ٤٠١ ، ٤٠٩ .

فابتدأ حينئذ يلعن ويحلف أنى لا أعرف الرجل .

وللوقت صاح الديك .

فتذكر بطرس كلام يسوع الذى قال له أنك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات . فخرج إلى خارج وبكى بكاء مراً —٢٦ : ٥٨—٧٥»

ويقول جون فنتون : « لعل متى قد أضاف . قدام الجميع (فى قوله عن بطرس : فانكر قائلا لست أدرى ما تقولين) ، لأن ذاكرته كانت تعى قول يسوع الذى ذكره من قبل : من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات — ١٠ : ٣٣ »(١٩) .

ومعنى هذا الهلاك لبطرس ، كما سبق أن بينا .

★

ويقول لوقا : « أما بطرس فتبعه من بعيد . ولما أضرموا ناراً فى وسط الدار وجلسوا معاً جلس بطرس بينهم .

فرأته جارية جالسا عند النار فتفرست فيه وقالت وهذا كان معه . فأنكره قائلا لست أعرفه يا امرأة .

وبعد قليل رآه آخر وقال وأنت منهم . فقال يا إنسان لست أنا .

ولما مضى نحو ساعة واحدة أكد آخر قائلا بالحق أن هذا أيضاً كان معه لأنه جليلى أيضاً .

فقال بطرس يا إنسان لست أعرف ما تقول .

وفى الحال بينما هو يتكلم صاح الديك . فالتفت الرب ونظر إلى بطرس. فتذكر بطرس كلام الرب كيف قال له أنك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات — ٢٢ : ٥٤—٦١ » .

ويقول جورج كيرد تعليقا على ذلك : « من هذه النقطة فصاعدا نجد أن قصة لوقا تسير موازية لقصة مرقس ، ولكن مع حيود كبير ،

---

(١٩) المرجع ٧ ـ ص ٤٢٩ .

بالنسبة لكل من محتوياتها وتسلسل حوادثها . فعلى حسب رواية مرقس نجد أن يسوع قد أخذ مباشرة إلى جلسة السنهدرين التى عقدت فى منتصف الليل ، وأن السخرية منه حدثت فى وسط الدار بعد سماع إجابته (لرئيس الكهنة) ، وأن أنكار بطرس حدث أثناء المحاكمة فى فناء خارجى ، وأن قرار إرسال يسوع إلى بيلاطس قد اتخذ فى الجلسة الثانية التى عقدت فى الصباح .

وعلى حسب رواية لوقا نجد أن يسوع وضع تحت الحراسة فى منزل رئيس الكهنة إلى أن عقد السنهدرين ، وأنه حدث أثناء ليل الانتظار الطويل أن قام الحراس بتسلية أنفسهم على حساب السجين ، وأن بطرس أنكر سيده.

إن ترتيب لوقا للحوادث يبدو محتملا إلى حد بعيد » (٢٠) .

ولاشك أن تفضيل رواية لوقا عن الروايات الأخرى ، يرجع إلى استبعاده عقد جلسة السنهدرين فى منتصف ليلة القبض عل السجين .

★

أما رواية يوحنا فتقول : « وأما بطرس فكان واقفا عند الباب خارجا . فخرج التلميذ الآخر الذى كان معروفا عند رئيس الكهنة وكلم البوابة فأدخل بطرس .

فقالت الجارية البوابة لبطرس الست أنت أيضاً من تلاميذ هذاالإنسان.

قال ذاك لست أنا .

وكان العبيد والخدام واقفين وهم قد أضرموا جمراً لأنه كان برد .. وكانوا يصطلون .

وكان بطرس واقفا معهم يصطلى .

فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تعليمه ..

وسمعان بطرس كان واقفا يصطلى . فقالوا له ألست أنت أيضاً من تلاميذه .

---

(٢٠) المرجع ٨ ـ ص ٢٤٤ .

فأنكر ذاك وقال لست أنا .

قال واحد من عبيد رئيس الكهنة وهو نسيب الذى قطع بطرس إذنه أما رأيتك أنا معه فى البستان فأنكر بطرس أيضاً . وللوقت صاح الديك —١٨ : ١٦—٢٧ » .

*

إن اختلاف كتبة الأناجيل فى قصة إنكار بطرس واضح لايحتاج إلى تعليق .

ويستطيع القارىء التحقق من ذلك وخاصة عندما يراجع ما يذكره كل إنجيل عن شخصية المستفهم من بطرس بصرف النظر عن اختلافهم فيما ذكر عن صياح الديك .

ففى مرقس نجد أن السؤال الأول كان من **جارية** فى الدار أسفل — وكان السؤال الثانى من **نفس الجارية** خارجا فى الدهليز — وكان السؤال الثالث من **الحاضرين** .

ويقول متى أن الأسئلة الثلاثة كانت كالآتى ، الأول من **جارية** وكان بطرس جالسا خارجا فى الدار — والثانى من **جارية اخرى** فى الدهليز والثالث من **القيام** .

وفى لوقا نجد أن : الأول من **جاريه** وكان عند النار — والثانى من **رجل** — والثالث من **رجل آخر** .

ويقول يوحنا أن : الأول كان من **الجارية البوابة** — وكان الثانى من **الواقفين** مع رئيس الكهنة وكان الثالث من **واحد من عبيد رئيس الكهنه** .

حقاً إن قصة بطرس — كما قال المفسرون — مليئة بالمشاكل التى تذهب بها بعيدا عن إطار الواقع .

ولا يبقى بعد ذلك سوى شك التلاميذ فى معلمهم ، فى تلك الليلة الأخيرة .

*

المحاكمة الثانية : امام بيلاطس .

يقول مرقس « وللوقت فى الصباح الباكر تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله وأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه إلى بيلاطس.

فسأله بيلاطس أنت ملك اليهود فأجاب وقال له أنت تقول . وكان رؤساء الكهنة يشتكون عليه كثيراً .

فسأله بيلاطس أيضاً قائلا أما تجيب بشيء أنظر كم يشهدون عليك . فلم يجب يسوع أيضاً بشيء حتى تعجب بيلاطس . وكان يطلق لهم فى كل عيد أسيراً واحداً من طلبوه . وكان المسمى باراباس موثقا مع رفقائه فى الفتنة الذين فى الفتنة فعلوا قتلا .

فصرخ الجمع وابتدأ وايطلبون أن يفعل كما كان دائما يفعل لهم .

فأجابهم بيلاطس قائلا اتريدون أن اطلق لكم ملك اليهود . لأنه عرف أن رؤساء الكهنة كانوا قد اسلموه حسداً . فهيج رؤساء الكهنة الجمع لكى يطلق لهم بالحرى باراباس .

فأجاب بيلاطس أيضاً وقال لهم فماذا تريدون أن أفعل بالذى تدعونه ملك اليهود .

فصرخوا أيضاً أصلبه فقال لهم بيلاطس وأى شر عمل . فازدادوا جداً صراخا أصلبه .

فبيلاطس إذ كان يريد أن يعمل للجمع مايرضيهم اطلق لهم باراباس وأسلم يسوع بعد ما جلده ليصلب — ١٥ : ١ — ١٥ » .

★

« يبدأ هذا الجزء بالإجتماع الثانى للسنهدرين .. إلا أن مضمون الفقرة الأولى (العدد ١) لايعطينا أى إشارة عن اجتماع سابق ، ومن المرجح أن يكون ذلك هو الاجتماع الوحيد الذى تم عقده ، **وأن ما يذكره مرقس فى ١٤ : ٥٣ — ٦٥ (عن جلسة الليل) إنما يمثل إعادة نظم للأحداث حسبما تصورت المسيحية الأولى أنها لابد أن تكون قد وقعت . فاذا كان الأمر كذلك ، فان تفاصيل الوقائع التاريخية تصبح بعيدة التحقيق ..**

ورغم أن المحاكمة تعرض لنا باعتبارها وقعت فى العراء .. فإن رواية القديس مرقس لايمكن اعتبارها بأية حال تقريراً لشاهد عيان . **وفى الواقع إنها ليست تقريرا على الاطلاق ..**

إننا لم نخطر كيف علم بيلاطس بالتهمة (وفى العدد ٢ نجده قد عرفها من قبل) ، ولماذا لم يرد ذكر لحكم رسمى (على عكس لوقا الذى يقول : فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم — ٢٣ : ٢٤)

وبالنسبة لما قيل عن عادة اطلاق أحد المسجونين .. فان وجهة نظر أغلب العلماء تقرر أنه : لا يعرف شيء عن مثل هذه العادة كما وصفت هنا .إن القول بان عادة الحكام الرومان جرت على اطلاق أحد المسجونين فى عيد الفصح ، وأن الجماهير هى التى كانت تحدد إسمه بصرف النظر عن جريمته ، إنما هو قول لايسنده أى دليل على الاطلاق ، بل انه يخالف مانعلمه عن روح الحكم الرومانى لفسلطين وأسلوبه فى معاملة أهليها ..

على أن محتويات الحوار بين بيلاطس والجمهور تعتبر من المشاكل أيضاً. فيبدو منها أن بيلاطس قد ووجه مقدما بالإختيار بين مجرمين أدينا ، بحيث إذا أطلق سراح أحدهما لوجب عليه إعدام الآخر ولكن فى نهاية الفقرة الثانية (الإعداد ٢—٥) نجد أن يسوع لم يدان **وحسبما تذكره القصة ، لانجدمبررا يمنع بيلاطس من تبرئة يسوع ، إذا كان قد اعتقدفى برائته واصدار عفو كذلك عن باراباس .**

ونجد فى رواية القديس متى لهذه القصة أن اسم ذلك المتمرد قد ذكر مرتين (فى ٢٧ : ١٦ ، ١٧) فى أغلب النسخ على أنه : يسوع باراباس ، والاعتقاد الشائع أن ذلك كان القراءة الأصلية ..

إن حذف كلمة يسوع ، من النسخ المتداولة بيننا يمكن شرحه ببساطة على أساس أنه بالرغم من أن اسم يسوع (= يشوع) كان شائعا (فى أيام المسيح وقد ذكر بولس فى رسائله : يسوع المدعو يسطس — كولوسى ٤ : ١١) — فلم يلبث المسيحيون أن اعتبروه إسما مقدسا يرقى عن الاستخدام العادى ، وأن اطلاقه على أحد المجرمين يعتبر مهينا »(٢١) .

★

(٢١) المرجع ٦ — ص ٤١١ — ٤١٦ .

ولقد إضاف متى إلى رواية مرقس قصتين : أحدهما تحكى نهاية يهوذا ، وهو الموضوع الثانى فى قضية الصلب ، والذى سنتعرض له فى حينه .

وأما القصة الأخرى فانها تتكلم عن حلم زوجة بيلاطس — وفيها يقول متى : « وإذ كان (بيلاطس) جالسا على كرسى الولاية ارسلت إليه امرأته قائلة إياك وذلك البار . لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله — ١٩ : ٢٧ » .

كذلك بين متى أن بيلاطس أعلن براءته من دم المصلوب بطريقة قاطعة ، وتعتبر فى نفس الوقت إعترافا منه على رؤوس الأشهاد ببراءة يسوع — فهو يقول :

« فقال الوالى وأى شر عمل . فكانوا يزدادون صراخا ليصلب . فلما رأى بيلاطس أنه لا ينفع شيئا بل بالحرى يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا انى برىء من دم هذا البار أبصروا أنتم .

فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا .

حينئذ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب — ٢٧ : ٢٣ — ٢٦ » .

لكن العلماء يشكون فى حادث غسل يد بيلاطس باعتبار أن « عملية غسل اليد لتكون دليلا على البراءة إنما هى عادة يهودية أكثر منها رومانية ، إذ يقول سفر التثنية : يغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريبين من المدينة أيديهم .. ويقولون أيدينا لم تسفك هذا الدم .

ومن المستبعد جداً أن يكون بيلاطس قد عمل شيئا كهذا »(٢٢) .

★

ويذكر لوقا أن المحاكمة الثانية أمام بيلاطس حدثت على مرحلتين : الأولى عندما « قام كل جمهورهم وجاءوا به إل بيلاطس . وابتدأوا يشتكون عليه قائلين أننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا أنه مسيح ملك .

(٢٢) ٧ — ص ٤٣٦ .

فسأله بيلاطس قائلا أنت ملك اليهود فاجابه وقال أنت تقول .

فقال بيلاطس لرؤساء الكهنة والجموع إنى لا أجد علة فى هذا الانسان ـ٢٣ : ١ ـ ٤ » . وكانت المرحلة الثانية بعد محاكمة أخرى أمام هيرودس وقد انفرد لوقا بذكرها دون سائر الأناجيل .

وفى تلك المرحلة الثانية أعلن بيلاطس براءة المقبوض عليه من التهم الموجهة ضده وخاصة تلك التى كانت عقوبتها الموت. ولقد كان يرى الاكتفاء بتأديبه وضربه ثم اطلاق سراحه : « فقال لهم (بيلاطس) ثالثة فأى شر عمل . إنى لم أجد فيه علة للموت . فأنا أؤدبه وأطلقه ـ٢٣ : ٢٢ » .

ومما يجب ذكره أن العدد ١٧ الذى يقول : وكان مضطراً أن يطلق لهم كل عيد واحداً ـ قد حذف من بعض النسخ الهامة (٢٣) .

*

ولا تختلف رواية يوحنا كثيراً فى مضمونها عما قيل فى الأناجيل الأخرى إلا فى أسلوبها الفلسفى ، مع التأكيد على اعلان بيلاطس براءة المقبوض عليه .

**

المحاكمة الثالثة : أمام هيرودس

يقول لوقا : « وكانوا يشددون قائلين أنه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئا من الجليل إلى هنا . فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل سأل هل الرجل جليلى . وحين علم أنه من سلطنة هيرودس أرسله إلى هيرودس إذ كان هو أيضاً تلك الأيام فى أورشليم وأما هيرودس فلما رأى يسوع فرح جداً لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لما سمعه عنه أشياء كثيرة وترجى أن يرى آية تصنع منه . وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشىء .

ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد .

فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به والبسه لباسا لامعا ورده إلى بيلاطس .

---

(٢٣) المرجع ٨ ـ ص ٢٤٨ .

فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما فى ذلك اليوم لأنهما كانا من قبل فى عداوة بينهما — ٢٣ : ٥—١١ » .

ويقول جورج كيرد تعليقا على ذلك : « **إن المحاكمة أمام هيرودس لم تذكر فى أى إنجيل آخر غير إنجيل لوقا** ، ويتساءل بعض العلماء عما إذا كان هناك وقت كاف بين طلوع النهار والتاسعة صباحا يسمح بحدوث مثل تلك المرات الكثيرة من المجىء والرواح . ومن ناحية أخرى فمن المحتمل أن تكون للوقا صلاته بأهل بيت هيرودس الذين استقى منهم معلوماته (عن : يونا امرأة خوزى وكيلى هيرودس ٨ : ٣) ، كما أن أحد التقاليد التى اعتمد عليها فى الاصحاحات الأولى من سفر أعمال الرسل (٤ : ٢٦) ، قد احتفظت بصلاة اعتبر فيها أن اشتراك هيرودس وبيلاطس فى قتل يسوع إنما هو تحقيق لنبؤة المزمور الذى يقول : قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معاً على الرب وعلى مسيحه — ٢ : ٢ وقد دعى يسوع فى نفس الفقرة (من سفر الأعمال) **بقوله : عبدك القدوس** — thy holy servant

وعلى حسب رواية لوقا ، نجد أن جنود هيرودس — وليس بيلاطس — هم الذين البسوا يسوع ملابس ملكية .. كما لا يعلم شىء عن العداوة بين هيرودس وبيلاطس »(٢٤) .

**

سخرية الجنود :

يقول مرقس : فمضى به العسكر إلى داخل الدار التى هى دار الولاية وجمعوا كل الكتيبة . والبسوه أرجوانا وضفروا أكليلا من شوك ووضعوه عليه . وإبتدأوا يسلمون عليه قائلين السلام يا ملك اليهود . وكانوا يضربونه على رأسه بقصبة ويبصقون عليه ثم يسجدون له جاثين على ركبهم.

وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الأرجوان وألبسوه ثيابه ثم خرجوا به ليصلبوه — ١٥ : ١٦—٢٠ » .

---

(٢٤) المرجع ٨ — ص ٢٤٧ .

ويعتقد أغلب العلماء أن هذه القصة تعتبر واحدة من تلك التى كان يدخلها القديس مرقس إلى الرواية الأصلية ..

وهنا تثار نقطتان : الأولى – أن القصة بها أصداء – بعيدة وان كانت واضحة – من الفقرات المذكورة فى سفر أشعياء عن **العبد المتالم** (وخاصة ٥٠ : ٦ ، ٥٣ : ٣ ، ٥) وبالتأكيد فإن الكنيسة الأولى رأت فى هذا الحادث تحقيقا لتلك التنبوءات ، والسؤال الذى يثار بعدئذ عن مقدار ما عساه أن يكون قد حدث من تأثير نصوص العهد القديم فى تفاصيل القصة واختيار كلماتها .

أما النقطة الثانية فانها تعتبر أكثر ازعاجا ، ذلك أن العلماء من أمثال فريزر ويش قد بينوا أن القصة فى صورتها الحالية تجد لها نظائر مشوقة فى الطقوس التى كانت تجرى فى احتفالات معينة فى العصور القديمة ، وخاصة الرومانية والبابلية ، **وكذلك** فى حادث سجله **فيلو** عندما أقامت جماهير الاسكندرية مسرحا قدمت عليه تمثيلية عملت للسخرية من **أجريبا الأول** الذى كان يزور مدينتهم فى طريق عودته من روما مباشرة بعد أن عينه **كاليجولا** (٣٧ – ٤١ م) ملكا على اليهودية .

فبعد أن أمسكوا بيهودى أبله ، وألبسوه تاجا من الورق وثوبا من الحصير ، ووضعوا قصبة من البردى فى يده (انظر متى الذى يقول : وضفروا إكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة فى يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود – ٢٢ : ٢٩ ،

ولعل هذا الأثر قد فقد من نص القديس مرقس)–كما زودوه بحراس خصوصيين ، وبعد ذلك أعلنوا مبايعته ، وتظاهروا باستشارته فى أمور الدولة .

ومن المثير حقاً أن اسم الضحية كان باراباس ،ونظراً لأن بعض العلماء قد رأوا هنا صلة بباراباس وبناء على ما رأوه من أمثلة متنوعة من عقائد العالم ، فانهم وجدوا فى هذه القصة دليلا على شيوع أحد طقوس

العالم القديم الذى كان يعامل فيه أحد الرجال (واسمه فى هذا الطقس كاراباس أو باراباس) كأنه مزيف بينما يذبح رجل آخر .

لقد كان المتهمون الذين أدانتهم المحكمة — فى العالم القديم — كثيرا ما يجبرون على القيام بالأدوار الرئيسية فى مثل تلك الطقوس وبناء على هذا فإن الباب مفتوح لتأويل قصة آلام يسوع (المسيح) وإطلاق سراح يسوع باراباس (المجرم) على أنها حدثت فى محيط مثل تلك الطقوس »(٢٥) .

ومن الجدير بالذكر أن « اسم باراباس يعنى : ابن الآب (الآب السماوى »(٢٦) .

*

« ولقد أحدث متى بعض التغييرات فى مرقس ١٥ : ١٦ — ٢٠ ، إذ غير قول مرقس : ألبسوه أرجوانا ، إلى قوله : ألبسوه رداء قرمزيا ، كما أضاف : وضعوا قصبة فى يمينه . كذلك فانه غير ترتيب الحوادث بحيث جاءت الإشارة إلى جثى الجنود مبكرة (قبل البصق والضرب بينما هى فى مرقس بعده) (٢٧)

*

لكن هناك خلافاً جوهرياً بين مرقس ومتى وكذلك يوحنا — من جانب آخر .

فهذا الأخير قد جعل هيرودس وجنوده — وليس جنود بيلاطس ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك — هم الذين سخروا من المقبوض عليه وغيروا ملابسه — فهو يقول : « احتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا ورده إلى بيلاطس — ٢٣ : ١١ »

إن هذا الاختلاف دليل على تعذر الوصول إلى الحقيقة بين كتبة الأناجيل.

***

(٢٥) المرجع ٦ — ص ٤١٨ — ٤١٩ .
(٢٦) المرجع ٧ — ص ٤٣٥ .
(٢٧) المرجع ٧ — ٤٣٧ .

٥ - الصـــلب

حامل الصليب

يقول مرقس : « ثم خرجوا به ليصلبوه . فسخروا رجلا مجتازا كان آتيا من الحقل وهو **سمعان القيروانى** أبو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه .

وجاءوا به إلى موضع جلجثة الذى تفسيره موضع جمجمة — ١٥ : ٢٠ — ٢٢ » .

*

ويتفق متى ولوقا مع مرقس فى أن حامل الصليب كان المدعو سمعان القيروانى .

*

لكن يوحنا يقرر شيئا آخر فهو يقول : « حينئذ أسلمه (بيلاطس) إليهم ليصلب فأخذوا يسوع ومضوا به . **فخرج وهو حامل صليبه** إلى الموضع الذى يقال له موضع الجمجمة ويقال له بالعبرانية جلجثة — ١٩ : ١٦ — ١٧ » .

*

« لقد كان المعتاد أن يقوم الذين حكم عليهم بالصلب ، بحمل صلبانهم بأنفسهم .. ويقرر يوحنا أن هذا كان ما حدث فعلا فى حالة يسوع . ولكن على العكس من ذلك نجد حسب رواية مرقس (ومتى ولوقا) أن شخصا مجهولا يدعى سمعان القيروانى هو الذى سخره الرومان لحمل الصليب بدلا من يسوع . .

وبالنسبة لموضع جلجثة فان التقاليد التى تقول أنه يقع داخل كنيسة القبر المقدس ، لا يمكن إرجاعها لأبعد من القرن الرابع ، كما أنها لا تزال موضع جدل ولقد اقترحت أماكن أخرى فى عصرنا الحاضر ، إلا أن القطع بواحد منها لا يزال بعيداً عن التحقيق »(٢٨)

* *

---

(٢٨) — المرجع ٦ — ص ٤٢٢ .

شراب المصلوب

يقول مرقس : « أعطوه **خمراً ممزوجة بمر** ليشرب فلم يقبل — ١٥ : ٢٣ » .

ويقول لوقا : « والجند أيضا استهزأوا به وهم يأتون ويقدمون له **خلا** — ٢٣ : ٣٦ » .

ويقول متى : « أعطوه **خلا ممزوجاً بمرارة** ليشرب ولما ذاق لم يرد أن يشرب — ٢٧ : ٣٤ »

« لقد غير متى قول مرقس : فلم يقبل — إلى قوله : ولما ذاق لم يرد أن يشرب . لقد كان الغرض من المشروب أن يخفف الآلام ، ولعل هذا هو السبب فى أن الإنجيليين سجلوا أن يسوع لم يشرب »(٢٩) .

*

علة المصلوب

يقول مرقس : « وكان عنوان علته مكتوبا : **ملك اليهود** — ١٥ : ٢٦ » .

ويقول متى « وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة : **هذا هو يسوع ملك اليهود** — ٢٧ : ٣٧ » .

ويقول لوقا : « وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية : **هذا هو ملك اليهود** — ٢٣ : ٣٨ » .

ويقول يوحنا : « وكتب بيلاطس عنوانا ووضعه على الصليب . وكان مكتوبا : **يسوع الناصرى ملك اليهود** — ١٩ : ١٩ » .

* *

---

(٢٩) — المرجع ٧ — ص ٤٤٠ .

« لقد اختلفت الآراء بشدة حول صحة ما كتب عن علته ، فيرى بعض العلماء أن الصيغة الدقيقة قد عرفت عن طريق شهود عيان . . بينما يعتقد آخرون أنه من غير المحتمل أن يكون الرومان قد استخدموا مثل تلك الصيغة الجافة ، وأن ما ذكره القديس مرقس بوجه خاص عن علته ، إنما يرجع مرة أخرى لبيان أن يسوع قد أعدم باعتباره المسيا »(٣٠)

*

ان اختلاف الأناجيل فى عنوان علة المصلوب — وهو لا يزيد عن بضع كلمات معينة كتبت على لوحة قرأها المشاهدون — إنما هو مقياس لدرجة الدقة لما ترويه الأناجيل . وطالما كان هناك اختلاف — ولو فى الشكل كما فى هذه الحالة — فإن درجة الدقة لا يمكن أن تصل إلى الكمال .

وقياسا على ذلك نستطيع تقييم درجة الدقة لما تذكره الأناجيل عن ألقاب المسيح ، وخاصة عند ما ينسب إنجيل إلى أحد المؤمنين به قوله : **كان هذا الإنسان بارا** ، بينما يقول إنجيل آخر : **كان هذا الإنسان ابن الله .**

أو عند ما يقول أحد الأناجيل على لسان تلميذه : **يا معلم** ، ويقول آخر : **يا سيد** ، بينما يقول ثالث : **يا رب** :

ان الحقيقة تبقى هنا دائماً محل خلاف .

**

اللصان والمصلوب

يقول مرقس : « وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره . فتم الكتاب القائل وأحصى مع أثمة .. **واللذان صلبا معه كانا يعيرانه** ١٥ : ٢٧ — ٣٢ »

ويتفق متى مع مرقس فى أن اللصين كانا يعيرانه .

*

لكن لوقا يقول : « **وكان واحد من المذنبين المعلقين يجدف عليه** قائلا إن كنت أنت المسيح فخلص نفسك وإيانا .

---

(٣٠) — المرجع ٦ — ص ٤٢٤ .

فأجاب الآخر وانتهره قائلا أولا أنت تخاف الله إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه .

أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا . وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله .

ثم قال ليسوع اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك . فقال له يسوع الحق أقول لك أنك اليوم تكون معى فى الفردوس – ٢٣ : ٣٩ – ٤٣ » .

*

لقد اختلفت الأناجيل فى موقف اللصين من المصلوب ، كما اختلفت نسخ مرقس مع نفسها فى الرواية الواحدة ذلك أن بعض النسخ الهامة تحذف العدد ٢٨ الذى يقول : فتم الكتاب القائل وأحصى مع أثمة (٣١) .

* *

وقت الصلب

يقول مرقس : « **وكانت الساعة الثالثة فصلبوه – ١٥ : ٢٥** »

لكن يوحنا يقول أن ذلك حدث بعد الساعة السادسة : « وكان استعداد الفصح **ونحو الساعة السادسة** .

فقال (بيلاطس) لليهود هوذا ملككم فصرخوا خذه خذه اصلبه . . **فحينئذ أسلمه إليهم ليصلب** – ١٩ : ١٤ – ١٦ »

*

« **منذ اللحظة التى روى فيها القديس مرقس إنكار الناس ليسوع نجد أن الوقت قد خطط بعناية بحيث تكون الفترة ثلاثية** (الأحداث أو التوقيتات مثل : إنكار بطرس ثلاث مرات ١٤ : ٦٨ ، ٧٢

وقت الصلب الساعة الثالثة ١٥ : ٢٥ – وقت الظلمة من السادسة إلى التاسعة ١٥ : ٣٣ ، ٣٤ – وقت المساء ١٥ : ٤٢)

---

(٣١) المرجع ٦ – ص ٤٢٠ .

وفى هذا المثل على الأقل فان الحساب يبدو مصطنعاً ، إذ أنه من الصعب أن كل ما روته الأعداد ١٥ : ١ - ٢٤ (منذ بدء جلسة الصباح حتى وقت الصلب) يمكن حدوثه فى فترة الثلاث ساعات ، ويبين إنجيل يوحنا (١٩ : ١٤) بوضوح أن ذلك لم يحدث » (٣٢)

* *

صلاة المصلوب

يقول لوقا : « ولما مضوا به إلى الموضع الذى يدعى جمجمة صلبوه هناك مع المذنبين واحدا عن يمينه والآخر عن يساره .

فقال يسوع ياأبتاه اغفر لهم لأنهم لايعلمون ماذا يفعلون - ٢٣ : ٣٣ - ٣٤»

لقد انفرد لوقا بذكر هذه الصلاة التى حذفتها الأناجيل بل وبعض النسخ الهامة التى تنسب للوقا أيضا(٣٣)

« ولقد قيل أن هذه الصلاة ربما تكون قد محيت من إحدى النسخ الأولى للإنجيل بواسطة أحد كتبة القرن الثانى ، الذى ظن أنه شيء لايمكن تصديقه أن يغفر الله لليهود ، وبملاحظة ما حدث من تدمير مزدوج لأورشليم فى عامى ٧٠ ، ١٣٥ م صار من المؤكد أن الله لم يغفر لهم »(٣٤)

أى أن تلك الصلاة لم يقبلها الله ، ولذلك محاها ذلك الكاتب .

* *

صرخة اليأس على الصليب

يقول مرقس : « ولما كانت الساعة السادسة كانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة .

وفى الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا **الوى الوى لما شبقتنى** الذى تفسيره إلهى إلهى لماذا تركتنى - ١٥ : ٣٣ - ٣٤ »

* *

---

(٣٢) المرجع ٦ - ص ٤٢٤ .
(٣٣) المرجع ٨ - ص ٢٥٠ .
(٣٤) المرجع ٨ - ص ٢٥١ .

ويأخذ متى برواية مرقس ، إلا أنه غير قول الأخير : الوى الوى لما شبقتنى - إلى قوله : **أيلى أيلى لما شبقتنى** .

*

لكن لوقا يقول : « وكان نحو الساعة السادسة . فكانت ظلمة على الأرض كلها إلى الساعة التاسعة ..

ونادى يسوع بصوت عظيم وقال **يا أبتاه فى يديك أستودع روحى** ٢٣ : ٤٤ - ٤٦ »

*

بينما يقول يوحنا : « بعد هذا رأى يسوع أن كل شىء قد كمل فلكى يتم الكتاب قال أنا عطشان وكان إناء موضوعاً مملوءاً خلا فملأوا إسفنجة من الخل ووضعوها على زوفا وقدموها إلى فمه .

فلما أخذ يسوع الخل قال **قد أكمل** - ١٩ : ٢٨ - ٣٠ »

*

إن صرخة اليأس على الصليب تثير عدداً من المشاكل التى كانت ولا تزال موضع جدل بين العلماء فالبعض يقول : « يبدو أن القديسين لوقا ويوحنا قد رأيا فى كلماتها غموضاً واحتمالا لسوء الفهم ولذلك حذفاها ، ثم استبدلها أحدهما بقوله : يا أبتاه فى يديك أستودع روحى (لوقا ٢٣ : ٤٦) بينما قال الآخر : قد أكمل (يوحنا ١٩ : ٣٠) ..

وعلى العكس من ذلك فان مثل هذا الرأى يفترض الراوية الذى كان شاغله الأول أن يذكر الحقيقة التاريخية ، ويسجل بأمانة ، للأجيال القادمة كلاماً مزعجاً يتعذر تفسيره . .

ولهذا فان أغلب العلماء المحدثين يقرون تأويلا مختلفاً تماماً ، يقوم على حقيقة أن هذه الكلمات (اليائسة) إنما هى اقتباس من المزمور ٢٢ : ١

وإذا أخذنا هذا المزمور ككل فانه لا يمكن أن يكون صرخة يأس بأى حال من الأحوال إنما هو صلاة لعبد بار يعانى آلاماً ، إلا أنه يثق تماماً فى حب الله له وحفظه من الشر وهو مطمئن تماماً إلى حمايته »(٣٥)

وإن لنا عودة لهذا المزمور الذى لون به الإنجيليون قصة الصلب والآلام — وذلك عند الحديث عن تنبؤات المزامير بنجاة المسيح من القتل .

* *

موت المصلوب

يقول مرقس : « ركض واحد وملأ إسفنجة خلا وجعلها على قصبة وسقاه قائلا اتركوه لنر هل يأتى إيليا لينزله .

فصرخ يسوع بصوت عظيم وأسلم الروح — ١٥ : ٣٦ ، ٣٧ »

ويقول متى : « قوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا أنه ينادى إيليا . وللوقت ركض واحد منهم وأخذ أسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه وأما الباقون فقالوا اترك .لنرى هل يأتى أيليا يخلصه .

فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح — ٢٧ : ٤٧ — ٥٠ »

وهنا نجد أن « متى هو الذى فرق بين ذلك الذى أعطى يسوع الخل ، ومن قال : اترك ، ففى مرقس نجد أن نفس الشخص هو الذى يعطيه الخل ويقول تلك الكلمات . ولكن فى متى نجد الباقين هم الذين يخاطبون الرجل الذى أعطاه الخل بقولهم : اترك (المخاطب الفرد) ، بينما هى فى مرقس : اتركوا (المخاطب الجمع) ، وقد قيلت للمتفرجين »(٣٦)

كذلك فان بعض النسخ الهامة من إنجيل متى تضيف — بعد الكلام عن إيليا قولها : « وأخذ آخر حربة وطعن جنبه وللوقت خرج دم وماء » (٣٧)

*

---

(٣٥) المرجع ٦ — ص ٤٢٧ — ٤٢٨ .
(٣٦) المرجع ٧ — ص ٤٤٣ .
(٣٧) المرجع ٧ — ص ٤٤١ .

ويقول لوقا : « ولما قال هذا (يا أبتاه فى يديك أستودع روحى) أسلم الروح — ٢٣ : ٤٦ »

★

ويقول يوحنا : « فلم أخذ يسوع الخل قال قد أكمل . ونكس رأسه وأسلم الروح ..

فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه لأنهم رأوه قد مات لكن واحدا من العسكر طعن جنبه بحربة وللوقت خرج دم وماء — ١٩ : ٣٠ — ٣٤ .

★

ومهما كانت حقيقة الميت ، فان الموت كأس تتجرعه المخلوقات ..

وحين يغشى الناس بظله ، فانهم يسلمون لله طوعاً أو كرهاً ..

يسلم المؤمن طوعاً وهو الذى استسلم للمشيئة الإلهية من قبل ، ويسلم الكافر كرهاً ، والكل لله مسلمون .

★ ★

فى أعقاب الصلب

يقول مرقس : « انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل : ولما رأى **قائد المئة** الواقف مقابله أنه صرخ هكذا وأسلم الروح **قال حقاً كان هذا الإنسان ابن الله** — ١٥ : ٣٨ — ٣٩

★

ويقول متى : « وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل . والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان خافون جداً وقالوا حقا كان هذا ابن الله — ٢٧ : ٥١ — ٥٤ »

★

ويقول لوقا : « أظلمت الشمس وإنشق حجاب الهيكل من وسطه . . فلما رأى قائد المئة ما كان مجد الله قائلا بالحقيقة كان هذا الإنسان باراً — ٢٢ : ٤٥ — ٤٧ »

أما يوحنا فإنه لا يعلم عن ذلك شيئا .

*

« إن حدوث كسوف للشمس (حسب رواية لوقا) بينما يكون القمر بدراً وكما كان وقت الصلب إنما هو ظاهرة فلكية مستحيلة الحدوث ..

ولقد كان الشائع قديماً أن الأحداث الكبيرة المفجعة يصحبها نذر سوء وكان الطبيعة تواسى الإنسان بسبب تعاسته »(٣٨)

« ولقد قيل أن مثل تلك النذر لوحظت عند موت بعض الأحبار الكبار وبعض الشخصيات العظيمة فى العصور القديمة الوثنية وخاصة عند موت يوليوس قيصر »(٣٩)

ولقد أضاف متى إلى ما ذكره مرقس : « حدوث الزلزلة وتفتح القبور ، وقيامة القديسين من الأموات وظهورهم للكثيرين فى أورشليم بعد قيامة يسوع ، وكان قصده من إضافة هذه الأحداث الخرافية أن يبين أن موت يسوع كان عملا من صنع الله »(٤٠)

*

الحق الذى لامرية فيه أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لايخسفان لموت صغير أو كبير .

* *

---

(٣٨) المرجع ٨ ـ ص ٢٥٣ .

(٣٩) المرجع ٦ ـ ٤٢٧ .

(٤٠) المرجع ٧ ـ ص ٤٤٤ .

شهود الصلب

بقول مرقس : «**وكانت أيضاً نساء ينظرن من بعيد** بينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب الصغير ويوسى وسالومه . اللواتى أيضا تبعنه وخدمنه حين كان فى الجليل . وأخر كثيرات اللواتى صعدن معه إلى اورشليم — ١٥ : ٤٠ — ٤١ »

كذلك يقول متى فى ٢٧ : ٥٥ ، ٥٦

★

ويقول لوقا : « وكان جميع معارفه ونساءكن قد تبعنه من الجليل **واقفين من بعيد** ينظرون ذلك — ٢٣ : ٤٩ »

★

ويقول يوحنا: «وكانت واقفات عندصليب يسوع أمه وأخت أمه مريم زوجة كلوبا ومريم المجدلية — ١٩ : ٢٥ »

★

يقول جون فنتون : « لقد هرب التلاميذ عند القبض على يسوع ، ورغم أن بطرس قد تبعه من بعيد إلى فناء دار رئيس الكهنة فاننا لانسمع عنه شيئا اكثر من ذلك ، بعد انكاره ليسوع .

إن مرقس ومتى ولوقا يخبروننا أن شهود الصلب كن نساء تبعن يسوع من الجليل الى أورشليم وقد رأين دفنه واكتشفن القبر خاليا صباح الأحد ، وقابلن يسوع (بعد قيامته) .

ورغم أن متى قد ذكر فى ١٣ : ٥٥ ، أن اثنين من اخوة يسوع كانا يسميان يعقوب ويوسى ، فمن الصعب جدا أن يكون قد عنى مريم أم يسوع عند الكلام عن مريم الأخرى (غير المجدلية والتى قال عنها : أم يعقوب ويوسى) » (٤١)

★

---

(٤١) المرجع ٧ ـ ص ٤٤٥ ـ ٤٤٦ .

ويعلق باريت على ماذكره يوحنا عن وجود أم يسوع وغيرها حول الصليب بقوله : « انه من غير المحتمل أساسا أن يكون قد سمح بوقوف أقارب يسوع وأصدقائه بالقرب من الصليب »(٤٢)

وكذلك تقول دائرة المعارف البريطانية تعليقا على اختلاف الأناجيل فى شهود الصلب : « نجد فى الاناجيل (الثلاثة) المتشابهة أن النساء فقط تبعن يسوع ، وأن القائمة التى كتبت بعناية واستفاضة لاتضم والدته — وأنهن كن : ينظرن من بعيد (مرقس ١٥ : ٤٠) .

ولكن فى يوحنا نجد أن والدته مريم تقف مع مريمين أخريين والتلميذ المحبوب ، تحت الصليب ومن تلك الساعة اخذها التلميذ المحبوب الى خاصته.

هذا بينما لاتظهر والدته فى اورشليم — حسبما ذكرته المؤلفات القديمة — الا قبيل عيد العنصرة ، وفى رفقة أخوته (أعمال ١ : ١٤) » (٤٣)

من ذلك يتبين أن شهود الاحداث الرئيسية التى قامت عليها العقائد المسيحية وهى : الصلب ، والقيامة والظهور — انما كن — على أحسن الفروض — نساء ، شاهدن ماشاهدن من بعيد ، ثم قمن بعد ذلك بالرواية والتبليغ ... ... ! !

★★★

٦ — الدفن

يقول مرقس : « ولما كان المساء إذ كان الاستعداد . أى ما قبل السبت . جاء يوسف الذى من الرامة مشير شريف وكان هو أيضاً منتظرا ملكوت الله فتجاسر ودخل إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع .

فتعجب بيلاطس أنه مات كذا سريعا فدعا قائد المئة وساله هل له زمان قد مات . ولما عرف من قائد المئة وهب الجسد ليوسف .

فأشترى كتانا فأنزله وكفنه بالكتان ووضعه فى قبر كان منحوتا فى صخرة ودحرج حجرا على باب القبر .

---

(٤٢) المرجع ٦ — ص ٤٣١ .
(٤٣) المرجع ١٧ — الجزء ١٣ — ص ٦١٩ .

وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسى تنظران أين وضع — ١٥ : ٤٢ — ٤٧ » .

*

« لقد كانت قصة دفن يسوع مهمة فى الكنيسة لاعتبارين : الأول — إنها ترسخ القول بأنه قد مات فعلا ، وبالتالى فقد قام حقيقة من الأموات .

وأما الثانى — فانه يتعلق بما قيل عن القبر الخالى ، فلقد كان من المهم التأكيد على أن النساء اللاتى اكتشفن القبر خاليا فيما بعد ، لم يذهبن الى قبر أخطأن معرفته ، بل لذات القبر اللاتى شاهدن بانفسهن الجسد يوضع فيه .

ولقد كتب **لويزى** يقول أن كل تفاصيل قصة الدفن قد جاءت نتاجا لاكتشاف القبر الخالى .

إن مرقس يريد أن يجذب انتباهنا الى أن نفس الاشخاص الذين رأوا عملية الدفن قد رأوا كذلك القبر الخالى .

إن هذا الترابط الواضح بالقصة التى رويت فيما بعد عن القبر الخالى قد جعلت بعض العلماء يتشككون فى هذه الرواية . .

ومن المتفق عليه بوجه عام أن العدد ٤٧ (الذى يقول : وكانت مريم المجدلية ومريم أم يوسى تنظران أين وضع) ، **لم يكن فى الاصل جزءا من القصة** » (٤٤)

*

« ولقد اختصر متى مافى مرقس ١٥ : ٤٢ — ٤٧ ، الا أنه أضاف أيضاً بعض التفاصيل من عنده . .

فلقد غير قول مرقس : مشير شريف — الى قوله : رجل غنى ، ومن المحتمل أن يكون ذلك راجعا الى رغبته فى التلميح الى رواية أشعياء (٥٣ : ٩) عن دفن عبد الرب .

---

(٤٤) المرجع ٦ — ص ٤٣٢ — ٤٣٥ .

كذلك فان متى حذف ما ذكره مرقس فى ١٥ : ٤٤ عن استفهام بيلاطس من قائد المئة عن موت يسوع » (٤٥)

كما يبين متى أن القبر المستخدم كان ما عرف فيما بعد — باسم قبر يوسف ، وذلك من قوله : « ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة ثم دحرج حجرا كبيرا على باب القبر ومضى . — ٢٧ : ٦٠»

*

ويقول لوقا أن يوسف « وضعه فى قبر منحوت حيث لم يكن أحد وضع قط — ٢٣ : ٥٣ »

*

أما يوحنا فانه يشرك نيقوديموس مع يوسف فى عملية الدفن — فيقول : « جاء (يوسف) وأخذ جسد يسوع . وجاء أيضاً نيقوديموس الذى اتى أولا الى يسوع ليلا وهو حامل مزيج مروعود نحو مائة منا .

فأخذا جسد يسوع ولفاه بأكفان مع الأطياب كما لليهود عادة أن يكفنوا

وكان فى الموضع الذى صلب فيه بستان وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط — ١٩ : ٣٨ — ٤١ »

وهنا نجد أن لوقا قد استقل فى روايته عن القبر عما جاء فى مرقس ومتى ، فقد اتفقت روايتا لوقا ويوحنا فى أن قبر يوسف لم يستخدم قط » (٤٦)

*

ولقد كان هذا المثال الذى اتفق فيه لوقا ويوحنا ضد مرقس ومتى — مع غيره من الأمثلة ، كاتفاقهما على أنه كان بين التلاميذ الاثنى عشر يهوذا آخر غير الاسخريوطى الخائن (لوقا ٦ : ١٦ ، ويوحنا ١٤ : ٢٢) وأن الخيانة جاءت نتيجة لدخول الشيطان فى يهوذا الاسخريوطى (لوقا

---

(٤٥) المرجع ٧ — ص ٤٤٦ — ٤٤٧ .

(٤٦) المرجع ٨ — ص ٢٠ .

٢٢ : ٣ ، ويوحنا ١٣ : ٢٧) — كل ذلك دفع نفرا من العلماء الى القول بأن يوحنا اعتمد على لوقا عندما كتب انجيله .

لكن هذا القول وجد ماينقضه نتيجة لشواهد أخرى فى الانجيلين منها : أن كلا من لوقا ويوحنا يتحدث عن بطرس وصيد السمك بمعجزة لكن أحدهما يضع القصة مبكراً أثناء رسالة يسوع فى الجليل ، بينما يضعها الآخر بعد قيامته من الأموات (لوقا : ١ — ١١ ، ويوحنا٢١ : ١ — ١٤) ، وكلاهما على دراية بصداقة يسوع لمرثا ومريم رغم أن ما يرويانه عن ذلك مختلف (لوقا ١٠ : ٣٨ — ٤٢ ، ويوحنا ١١ : ١—٤٤) (٤٧) .

*

إن اعتماد كاتب أحد الأناجيل على ماروواه كاتب أنجيل آخر ، كان أولى به أن يوجد تآلفا بين الاناجيل ، ويمنع التناقض والاختلاف فيما بينها ، لكن ما حدث كان على النقيض من ذلك .

وإذا أخذنا بما ترويه الأناجيل عن الصلب وأحداثه لوجدناها قد اختلفت فيه من الألف الى الياء .

ويكفى أن يراجع القارىء ما ذكرته الأناجيل عن : حادث القبض وملابساته — المحاكمات — توقيت الصلب (اليوم والساعة) — صرخة اليأس على الصليب — شهود الصلب .

كل ذلك وغيره كثير يكفى للقول بأن الأناجيل قد اختلفت فيما بينها اختلافا بعيدا .

وهو اختلاف يكفى لرفض ما يذكره أحد الأناجيل ، إذا اخذنا برواية الانجيل الآخر . أيهما نأخذ به ، وأيهما نرفض ؟

رب قارىء — درج على الايمان التقليدى بما ترويه الأناجيل — لايجد مفرا الآن من أن يقول : « إنما العلم عند الله »

* * *

---

(٤٧) المرجع ٨ — ص ٢٠ .